الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

الاغتراب في رواية "بروكلين هايتس"

لـ:ميرال الطحاوي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبة:
خولة لعموري

إشراف الدكتورة:
بايزيد فاطمة الزهراء

السنة الجامعية: 1436هـ/1437هـ

2015م/ 2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي
أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل
صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في
عبادك الصالحين﴾

النمل: ١٩

شكر و عرفان

أحمد الله و أشكره كثيرا أن أعانني على إنهاء هذا العمل فكان لي نعم المعيـن و الوكيل.

كما أسدي خالص شكري و امتناني لأستاذتي الفاضلة "فاطمة الزهراء بايزيد" شكـــرا و عرفانـا لتبنيها هذا العمل، وعلى توجيهاتها ونصائحها القيّمة.

كما أتفضّل بالشكر إلى كلّ من مدّ لي يد المساعدة سواء من قريب أو من بعيد.

مقدمة

يعدّ موضوع الاغتراب قديما قدم الإنسانية ذاتها، و لكنّه أصبح في العصر الحديث من أكثر المصطلحات الفلسفيّة و النّقديّة تداولا بين النّقاد المفكّرين، فهو يمسّ جانبا من جوانب أزمة الإنسان الحديث، فقد أصبح إنسان هذا العصر منفصلا انفصالا حادّا لم يسبق له مثيل سواء عن الطبيعة أو المجتمع أو الدولة، و يعاني من توتر نفسي و قلق مؤرق وعدم الشعور بعدم القدرة على الانسجام مع أفراد مجتمعه.

فظاهرة الاغتراب ألقت بظلالها على حياة الإنسان فكريا و نفسيا حتى عضويا، ليغترب جغرافيا بجسمه عبر الهجرة من مكان إلى مكان، أو بالانطواء على الذات و رفض الأعراف الاجتماعية السائدة، أو بإنكار النظام القائم بجميع أيديولوجياته، و أحيانا بنبذ القيم الدينية والروحيّة، و بهذا فإنّ الاغتراب جزءًا من نسيج الحياة الثقافية و الاجتماعية العربية، تنعكس أبعادها في كل مناحي الوجود الاجتماعي و الثقافي، وهي تأتي نتاجا لإكراهات شتّى تتمثّل في القمع التاريخي، السياسي و الأخلاقي و التربوي، و الاقتصادي.

و قد خصصنا دراستنا هذه حول الرّواية العربية، بالتطرّق إلى نموذج روائي للروائيّة المصريّة "ميرال الطحاوي" في رواية "بروكلين هايتس" و التي تعدّ بحق من أهم الأعمال الرّوائية التي تعبّر عن واقع الاغتراب للمثقّف العربي عامة و المرأة المثقفة خاصة.

و كانت هذه الدراسة مبنيّة على الإشكاليات التالية:

ما مفهوم الاغتراب؟ و كيف تجلّى داخل البنية السرديّة؟ وما علاقة التغيرات الاجتماعية و النفسية و الدينية و غيرها بالتمظهرات الاغترابية في الرّواية؟ و ما هي أهمّ الدّوافع التي ساعدت على ظهور الاغتراب في هذا العصر؟.

و تتكوّن خطة البحث من مقدمة و فصلين، حيث يشمل كل فصل مبحثين و خاتمة. المقدمة حاولنا من خلالها أن نلمّ فيها و لو بجزء بسيط بكل الخطوات المنهجية، مدخل وعنوناه بتحديد عتبات المصطلح، و جعلنا منه التمهيد أرضية لفهم طبيعة الموضوع المدروس من خلال التأسيس النظري لمصطلح الاغتراب كمفهوم من الناحيّة اللّغوية والاصطلاحيّة.

الفصل الأوّل: بعنوان أبعاد الاغتراب و مظاهره، جاء مبحثه الأول نظري، تطرقنا فيه إلى كل من منطلقات الاغتراب وأبعاده وأنواعه المختلفة. أمّا مبحثه الثاني الموسوم بمظاهر

الاغتراب في الرواية، كان بمثابة إسقاط لأنواع الاغتراب السابقة على الرواية المدروسة باستخراج مظاهر الاغتراب من الرواية (النفسي، الاجتماعي، اللغوي).

و في الفصل الثاني: المعنون بتجليات الاغتراب في الرواية، تناولنا في المبحث الأوّل مظاهر الاغتراب في المتن السردي للرواية من خلال الحوار و الوصف، و عن المبحث الثاني ارتأينا دراسة الزمكنة من خلال علاقة المكان بالاغتراب و علاقة الزمان بالاغتراب، و خاتمة خلصنا فيها إلى أهم النتائج المتوصل إليها من الدراسة.

و الدافع الأساسي لاختيار هذا الموضوع يكمن في السّعي إلى الإضافة و الإثراء، لاسيّما و أنّ رواية "بروكلين هايتس" تعتبر إضافة لعالم الرواية بموضوعها القيّم "الاغتراب" بالنسبة للمثقف العربي المعاصر، كما أن الرواية جديدة لم يسبق دراستها أكاديميا، ممّا دفعني لدراستها و التعمّق فيها، على أمل أن تساهم في إثراء الدراسات و البحوث الجامعيّة.

و غلب على بحثنا المنهج البنيوي الذي يساهم في بناء الفضاء السردي للرواية، باعتباره الأنسب مع هذا النوع من الدراسات

و قد اعتمدنا لانجاز هذا البحث على دراسات متعدّدة ساعدت في تجميع هذا الكمّ الهائل من المعلومات في هذا المجال، ومن بينها: الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون لـ"يحي العبد الله"، الاغتراب (الإنسان و شقاء الوعي) لـ"فيصل عباس"، الاغتراب في الثقافة العربية(متاهات الإنسان بين الحلم و الواقع)لـ "حليم بركات"، الاغتراب و الإبداع الفني "محمد عباس يوسف"، الحنين و الغربة في الشعر العربي "يحي الجبّوري"، سيكولوجية الإنسان المقهور "مصطفى حجازي".

و قد اعترضتنا صعوبات سواء كانت في اختيار هذا الموضوع، أو في المعلومات المحصّلة للبحث، إلاّ أنّ هذه الصعوبات تمّ تذليلها ببذل مجهود إضافي، وكذا توجيهات الأستاذة المشرفة.

و في الأخير أتقدّم للأستاذة المشرفة فاطمة الزهراء بايزيد بالشكر الجزيل على كل المساعدات و التسهيلات التي قدّمتها لي أثناء إعداد هذا البحث بنصائحها القيّمة.

و بعد، فإن كنّا قد أصبنا فالخير قصدنا، و إن أخطأنا فحسبنا أنّنا حاولنا و أخلصنا، وما توفيقنا إلاّ بالله.

مدخل : تحديد عتبات المصطلح

1: لغة

2 : اصطلاحا

مفهوم الاغتراب:

للوصول إلى معنى ملائم للفظة الاغتراب و تتبع مفهومها الدلالي يتحتّم علينا تقصّي معانيها المختلفة، حيث لا يتأتّى لنا ذلك إلاّ بالعودة إلى الكثير من المعاجم والقواميس سواء في اللغة العربية أو في اللّغات الأجنبيّة.

1.لغة:

للتمكّن من تحديد لفظة اغتراب فإنّه يجدر بنا أولا البحث في الجذر اللّغوي "غرب"، فالاغتراب افتعال من الغربة، و قد ذكر في المعاجم العربية بمعنى النزوح عن الوطن، لتقتصر على المعنى المكاني للكلمة فقط، فغرب فلان يغرب غربا بمعنى تنحّى، وأغربته وغُربته أي نحيته. و يقال: غرب في الأرض و أغرب، إذا أمعن فيها، والغربة: النوى والبعد، يقال: شقّت بهم غُربة النّوى[1]، و الغرب هو المغرب و الذهاب و كذا التنحّي، و أوّل الشيء وحده[2].

و أغرب القوم: أي انتووا و الغرباء هم الأباعد، و الغريب: الغامض من الكلام.

و الاغتراب هو الابتعاد عن الوطن، و اغتراب الرجل: نكح في الغرائب، و تزوج إلى غير أقاربه، و في الحديث النبوي الشريف قوله "عليه الصلاة و السلام":((اغتربوا لا تضووا، أي لا يتزوج الرجل القرابة)). و غوارب المال أعاليه، و الغريب: شديد السّواد[3].

و إذا بحثنا عن مقابل و دلالة الاغتراب في اللّغات الأجنبية نجد بأن مقابل هذه الكلمة في اللّغة الانجليزية Alienation و تعني «قابلية الأشياء بل و الكائنات الإنسانية المملوكة

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، مطابع الرسالة، الكويت، (د، ط)، 1980، مادة (غرب)، ج 4، ص410.

2- الفيروز أبادي: القاموس المحيط، تقديم: أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي، منشورات محمد علي البيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، ابنان،(د، ط)، 2004، م 1، ص 146.

3- ابن منظور: لسان العرب، الدار المتوسطة للنشر و التوزيع، تونس، ج 1، 2005، مادة (غرب)، ص 639-649.

للتنازل عنها أو البيع»[1]، و هذا ما يعرف (بالتشيؤ) الذي يساوي بين الإنسان و الأشياء،و قد ذهب بعضهم على غرار "دانيال بيل" إلى أنّ للاغتراب معنى مزدوجا الأول هو الغرابة، أمّا الثاني فهو التشيؤ.

كما أخذ المصطلح في العصور الوسطى معنى الفعل الذي يفيد قيام شخص ما بتغريب شيء يمتلكه، فـ"Alien" تعني«الانتماء والتعلق بالآخر وبالتالي السطو والسّلب»[2]، لهذا اقتصر مقابل الاغتراب في اللغة الانجليزية على ربطه بعالم الأشياء، وإعطائه مدلولا سلبيا مبالغا فيه إلى حد كبير.

أمّا ما يقابله في اللغة الفرنسية "Alienation" فيدل على الترك و العطاء و كذا الغربة الرّوحية، و قد اشتقت الكلمة الفرنسية و نظيرتها الانجليزية من الفعل اللاتيني "Alienare" الذي يعني«نقل ملكية من شيء إلى آخر، و هو بدوره راجع في الأصل إلى اللّفظ " Alius" الذي يدل على الآخر سواء كاسم أو صفة »[3].

فالقاسم المشترك بين معاني الاغتراب في مختلف اللّغات هو الدلالة على انتقال الملكية من شخص إلى آخر، كما يرى ذلك السيّد "علي شتّا" إلى« تقارب المصطلح في القاموسين الانجليزي و الألماني فيذكر أنّ كلا منهما يعني إلى انتقال و تسليم شيء ما ينتمي لفرد معين إلى شخص آخر، و كذا حالة الاعتلال الذهني، فينجم عن ذلك ما يعرف بغياب الوعي و تعطيل الإدراك »[4].

1- سهير عبد السلام: مفهوم الاغتراب عند هربرت ماركيوز، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، مصر، 2003، ص 21.

2- صبار نور الدين: الاغتراب بين القيمة المعرفية و القيمة الجمالية، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العربي، دمشق سوريا، ع355، 2000، ص328.

3- يحيى العبد الله: الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 2005، ص 21.

4- الشيخ محمد الشيخ: التحليل الفاعلي، نحو نظرية حول الإنسان، دائرة الثقافة و الإعلام، الشارقة، الإمارات، ط 1، 2001، ص 120.

و مفهوم الاغتراب متواجد في كل المجتمعات و في كلّ الثقافات و حاضر في جلّ المجالات ممّا جعل الوصول إلى تعريف جامع مانع له من أصعب المهام، خاصة و أنّه اتّصل اتصالا وثيقا بالإنسان الذي فقد روح التناغم و الانسجام في حياته، فلا يوجد من البشر من لم يعان هذه الحالة في أبسط معانيها، و في ظلّ ظروف لا إنسانية فرضتها التعفنات التي حلّت بالمجتمعات و تسبّبت في اندثارها، و الاغتراب عملية تقتضي الصيرورة و تتكوّن من ثلاث مراحل متّصلة فيما بينها اتصالا وثيقا و هي[1]:

أ. تتكوّن نتيجة لوضع الفرد في البناء الاجتماعي(بمعنى عدم الانسجام أو النفور و رفض النواميس السائدة).

ب. يتدخل وعي الفرد لوضعه في هذه المرحلة (يرهق الفرد نفسه في الشعور بالقهر والقمع و عدم الاندماج).

ج.تنعكس على تصرّف الفرد إنسانا مغتربا وفقا لما أتيح له من خيارات. قد يكون قسريا أو طوعيا.

و ممّا سبق نلحظ أنّ معظم المعاجم أجمعت على أنّ مفهوم الاغتراب انحصر في جانبه المادي و هو البعد و النأي و النزوح عن الوطن، إلاّ أنّ هذا لم يمنع من ظهور معان أخرى كالغربة الاجتماعية الممثلة في الابتعاد عن الزواج بالأقارب والطلاق وأيضا الغموض و الغريب من المعاني.

1- محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر، مرحلة الرّواد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1999، ص 05.

2.اصطلاحا:

أ- في الفكر الغربي:

أولى الدارسون أهميّة كبيرة لهذا المصطلح نظرا لتداخله في شتى المجالات، و يُعدّ "هيجل" أوّل من بسط القول فيه، لكن هناك إرهاصات و اشارات أُولى طرحها الفكر اليوناني و التي «عبّرت عن حالة (الجذب) الذي يسلّم فيه الإنسان جسمه للشعائر الدينية، أو فيما جاءت به أشعار "هوميروس" و التي بيّنت اغتراب الإنسان و ضعفه أمام الطبيعة»[1].

بالإضافة إلى ما تحدّث به أفلاطون«فكثير من مؤرخي الفلسفة يردّون الفكرة إلى كتابات أفلاطون و نظريته عن "الفيض"، و يتتبّعون ظهورها في الأفلاطونية الحديثة (أفلاطون و عالم المثل)»[2]، حيث اعتبر الإنسان مغتربا في هذا العالم الحسّي و إنّ كل شيء مزيّف ولابد من العودة إلى عالم المثل، و بعدها جاءت دراسات كثيرة سنحاول ذكرها على سبيل المثال لا الحصر:

في العصر الحديث بات الاغتراب «قضية تناولها الفلاسفة و المفكرون وتعقّبوها بالبحث و الاستقصاء، لذلك نجده يشغل حيّزا كبيرا من كتاباتهم»[3].

و قد أُستعمل مصطلح في البداية من قبل أصحاب نظرية العقد الاجتماعي، و خير من مثّلهم "جون جاك روسو"john jack rousseau(1712 /1778) الذي يعدّ أوّل من أطلق مصطلح الاغتراب و ضمّنه معنيين ايجابي و سلبي:

فأمّا المعنى الايجابي: ورد في كتابه "العقد الاجتماعي" حيث يضحّي الإنسان بذاته لصالح الجماعة المنتمي إليها، أمّا في "كتاباته النقدية لحضارة المجتمع الحديث" فقد أورد المعنى السّلبي للمجتمع حيث سلبت حضارة الإنسان ذاته، وجعلته عبدا للمؤسّسات

1- حبيب الشاروني : (الاغتراب في الذات)، مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، العدد 1، 1979، ص 69.

2- متقدم الجابري: تجليات الاغتراب في شعر صلاح عبد الصبور، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد4، 2005، ص 84.

3- محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر، مرحلة الرّواد، ص 03.

الاجتماعية و النماذج السلوكية[1]، فلم يعد الإنسان يملك نفسه و إنما صار خاضعا لغيره «فالإنسان الذي يجعل من نفسه عبدا للآخر، إنسان لا يُسلّم نفسه و إنما هو بالأحرى يبيع نفسه من أجل بقائه على الأقل»[2] .

و نجد أنّ "روسو" قد استخدم المصطلح الايجابي و عُني به التخلّي و التسليم عن الحق الطبيعي لصالح المجتمع السياسي، و يتم ذلك عن طيب خاطر لأنّه يهدف إلى مشروع سامي هو خدمة المجتمع و مؤسسات الدولة.

أما السلبي: و الذي حصره في سياق التبعية التي تحصل جراء التقدّم الحضاري الذي أفقد الفرد توازنه وسط مجتمعه، فاضطرّه إلى التنازل الإكراهي خدمة لمصلحته و استمرارا لتواجده.

أمّا"هيغل" Hegel(1770 / 1832): يعدّ من أبرز الفلاسفة المحدثين الذين أولوا موضوع الاغتراب أهميّة كبيرة « فهو أوّل من استخدم المصطلح استخداما منهجيا مقصودا أو مفصّلا»[3].

فالاغتراب عنده هو« حالة اللاّقدرة و العجز التي يعانيها الإنسان عندما يفقد سيطرته على مخلوقاته و منتجاته و ممتلكاته، فتوظّف لصالح غيره بدل أن يسطو عليها لصالحه الخاص»[4]، فيقف إزاء ذلك عاجزا عن تحقيق استقلاليته و ذاتيته لتنفلت الأمور من بين يديه و تتحوّل إلى غيره، الأمر الذي يؤدي إلى اتساع الهوّة بين الفرد و ذاته من جهة، و بينه و بين ما يحيط به من جهة أخرى.

1- حسن الحماد: الإنسان المغترب عند ايريك فروم، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، مصر، 2005، ص73.

2- جون جاك روسو: العقد الاجتماعي، تر:عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، 2012، ص 15.

3- محمود رجب: الاغتراب سيرة و مصطلح، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 4، 1993، ص09.

4- حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الإنسان بين الحلم و الواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1،2006،ص 37.

كمّا اعتبر الاغتراب «تضييع الإنسان لشخصيته الأولى عن طريق تغريب الإنسان نفسه عن طبيعته الجوهرية في شكل من التّنافر مع ذاته فيؤدي إلى قهرها»[1]، إذ أنّه في غمرة هذا التنافر مع الذات يُضيّع الإنسان نفسه، فيطمس بذلك ماهيته الحقّة و تتماهى إلى شخصية ثانوية مزيفة، و بناءا عليه فانّ "هيغل" قد استخدم معنيين لهذا المصطلح و يتمثل في:

المعنى الأول: «سلبي، و يأتي نتيجة صراعات بين الفرد و بين المنظومة الاجتماعية التي ينتمي إليها، أو الانفصال بين المرء و بين طبيعته الجوهرية، فيحدث التنافر مع الذات»[2]، إذ أنّ انعدام الانسجام مع الذات و الآخر يؤدي إلى اتساع الشقاق و الانفصام ممّا يتطلب حضور الاغتراب بقوة.

المعنى الثاني: «ايجابي، و يعني التسليم»[3]، و هذا النوع حسب "هيغل" يؤدي إلى «قهر الاغتراب و ذلك باتحاد الفرد بالجوهر الاجتماعي نتيجة لتنازله عن فرديته»[4] لصالح النسيج الاجتماعي.

هذه التضحية بذاته و استقلاليتها لصالح البناء الاجتماعي ما هو إلا صورة من صور الخلاص من الاغتراب.

ضف إلى ذلك أنّ "هيغل" « ربط العمل الفني بفكرة التحرّر من الاغتراب، فالإنسان يفعل هذا (يبدع) لكي يتمكّن كذات حرّة سلب العالم الخارجي من غربته»[5]. فالإبداع يمكّن الفرد من التخلّص من سيطرة ذاته، و يسمح له بالإبداع.

1- حسين جمعة: الاغتراب في حياة المعري وأدبه، مجلة جامعة دمشق، العدد الأول/الثاني،2011، ص24

2- رمضان حينوني: الاغتراب في شعر محمد الماغوط، دار الأيّام، عمّان، الأردن، ط1، 2015، ص27.

3- مشقوق هنيّة: تجليّات الحس الاغترابي في رواية بحر الصمت لياسمينة صالح، ندوة المخبر، قسم الآداب و اللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع10، ص02.

4- مجاهد عبد المنعم مجاهد: جدل الجمال و الاغتراب، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، ص 84.

5- وابل نعيمة: الاغتراب عند كارل ماركس، دراسة تحليلية نقدية، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، ط1، 2013، ص34.

لودويغ فيورباخ ludwig feuerbach(1706/ 1982)، هو احد تلامذة "هيغل"و كان يطلق عليه آنذاك «اسم الهيغليين الشباب»[1]، و قد اهتم فيور باخ بالاغتراب اتجاه المؤسسة الدينية، حيث «انتقد الدّين في كتابه "جوهر المسيحيّة"، و اعتبره نتاجا إنسانيا محضا، فرأى أنّ الإنسان لمّا تملّكه الخوف من المخاطر التي تحدّق به، لجأ إلى قوة وهمية من صنيعته تتجاوز الطبيعة و قوتها و أضفى عليها كلّ صفات الكمال»[2]، فالإنسان في رأيه مغترب لأنّه؛ «يعكس أفضل ما في نفسه على شيء خارجي ثم يعيد هذا الشيء»[3]، و قد عزا موقفه هذا إلى أنّ الدّين صناعة بشرية بحتة، فالإنسان حينما لم يستطع أن يُدرك كنهه و يفسّر ذاتيتـه وجوهره، لجأ إلى اختلاف ما يسمى الخير الأعظم "الله"، و الدّين عند فيورباخ هو:

« أساس كل اغتراب»[4] سواء كان اجتماعيا أم نفسيا أم اقتصاديا...

أمّا قهر الاغتراب فلا يتمّ إلاّ بعد استعادة كل ما سلب منه من صفات و ذلك عن طريق تحريره من الدّين في عودة الإنسان إلى نفسه و رفض أيّ تخارج لذاته، وهو الذي جعل هذا الفكر يتغلغل في جميع ميادين الحياة خاصة الاقتصادية، الأمر الذي أدّى إلى حتمية ربط الاغتراب بالعمل و الإنسان.

فالعمل هو جوهر الإنسان و هو تعبير عن شخصيته و اهتماماته، لكن يوضع تحت قوة أخرى موجهة له محدّدة، فإنّ ذلك يؤدي إلى انفصال العامل عن عمله و يصبح غريبا «فلا تعترف الرّوح بعملها من جملة ما صنعته من أعمال و تعتبر إنتاجها الشخصي غريبا

1- وابل نعيمة: الاغتراب عند كارل ماركس، دراسة تحليلية نقدية، ص34.

2- فيصل عباس: الاغتراب (الإنسان المعاصر وشقاء الوعي)، دار المنهل اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص198.

3- بسام خليل فرنجية: الاغتراب في أدب حليم بركات، رواية ستة أيام، فصول، مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، العدد1، 1983، ص209.

4- حسن حنفي: الاغتراب الديني عند فيو باخ، مجلة عالم الفكر، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع،بيروت،ط1990،4، ص44.

عنها»[1]، كما أنّ العامل يزداد اغترابا في النظام الرأسمالي بفعل إحلال الآلة محلّ العامل«إنّ رأس المال هو السلطة المستلبة للإنسانية المرتفعة فوق النّاس كسلطة غريبة و لا إنسانية»[2]، إذ أنّ الاغتراب يصبح أكثر حضورا في المجتمعات الرأسمالية التي تقوم على سلب العامل نتاج عمله، و تجرّد الفرد من إنسانيته و تحطّ من قيمته «إذ كان الإنسان قد أصبح مغتربا عن عمله اليومي، فهو بالضرورة يكون قد اغترب أيضا عن نفسه و عن إمكانياته الخلاّقة والأواصر الاجتماعية و بالتالي يجرّده من خاصيته البشرية»[3]، و هو ما يشكّل متتاليات متناقضة بين الفرد و ذاته و بيئته و بين نتاجه، و بينه و بين مجتمعه.

كما أنّ قهر الاغتراب عند ماركس «مرتبط بزوال الملكية الخاصة لأنّه يرجع ظهوره إلى الجوانب المادية في الحياة (الاقتصاد) و يهمل بواعثه المعنوية (الثقافية، الفكرية و الدينية) التي هي روابط يتصل الفرد من خلالها مع الآخرين »[4].

كما أنّ الوجودية سعت هي الأخرى إلى ترسيخ فكرها الفلسفي لمفهوم الاغتراب، فـ "جون بول سارتر" john paul sarter(1905/ 1980)، يرى أنّ « قدر الإنسان هو الحرّية »[5].

فالإنسان موجود حرّ و أنّ حريته هي سبب و جوده. هذا و قد اعتبر الآخرين عاملا من عوامل اغترابه« و هكذا فإنّ وجود الآخرين هو الذي يسلبنا حريتنا الكاملة »[6]، فالآخر مصدر اغتراب بالبنية للوجوديين.

1–روجيه غارودي، الماركسية، تر: محمد الأمين بحري، دار الحكمة الجزائر، 2009، ص21.

2– المرجع نفسه، ص96.

3. قيس النوري، الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، العدد1979،1،ص30.

4– عبد القادر زيدان: الغربة و التمرّد في الشعر الجاهلي، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، مصر، ط 1، 2003، ص 14.

5– فيصل عباس، الاغتراب، الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، ص 265.

6– المرجع نفسه،ص269.

لقد تتبعنا مفهوم الاغتراب في الفكر الغربي و فيما يلي سنحاول تتبعه في الفكر العربي:

ب – في الفكر العربي:

كان للعرب حظّ في تناول هذا المصطلح و الغوص في أعماقه لذلك راح العلماء والمفكرون يدلون بآرائهم ليعطوا له مفهوما خاصا حسب تصورهم، وإن كان الطابع الصوفي هو الغالب.

و لعلّ أبرز ملمح تتوضح به الرؤية هو ما ظهر في الإسلام، في قوله "صلى الله عليه و سلم":((بدأ الإسلام غريبا و سيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء))[1]، فالحديث الشريف هنا يتجلّى في ثناياه مفهوم الاغتراب.

فالإسلام بوصفه ديانة سماوية في بداية البعثة كان غريبا، إذ طاله نصيب من التشكيك و لم يكن هناك من آمن به و صدقه، ثم زالت غربته بدخول الناس فيه، و سيعود في آخر الزمان حيث تؤمن قلة من كثرة.

و قد كان حديث النبي "صلى الله عليه و سلم" المنبع الذي انطلق منه كثير من علماء الدّين و المفكرين في دراساتهم و أبحاثهم[2].

فهذا ابن قيم الجوزية(751/291هـ)، يرى أنّ الغربة ثلاث أصناف و هي: «غربة أهل الله و أهل سنّة رسوله بين هذا الخلق، و هي التي مدح رسول الله أهلها، بين هذا الخلق، وغربة مذمومة و هي غربة أهل الباطل بين أهل الحق، و غربة لا تحمد و لا تذم، و هي

1– مسلم بن الحجاج: الجامع الصحيح، دار الجيل، بيروت، لبنان، كتاب الإمام، باب بيان أنّ الإسلام بدأ غريبا و سيعود غريبا، رقم الحديث 146، (د، ط)، (د، ت)، ص294.

2– عمر بوقرورة: الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث (1945– 1962)، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، (د، ط)، (د، ت)، ص 15.

الغربة عن الوطن»[1]، فأسمى هذه الغربات تلك التي امتدحها الرسول الكريم، و أدناها هي غربة أهل الباطل و الفجور بين أهل الحق.

كما أنّ الاغتراب عند الباحث "فتح الله خليف" هو ثلاث درجات، اغتراب بين الناس وهو أدنى درجات الاغتراب، ثم اغتراب المؤمنين بين المسلمين، و أعلى درجة و أوحشها في الاغتراب هو اغتراب العلماء بين المؤمنين[2]. فالباحث فتح الله خليفة ميّز بين المؤمن و المسلم من جهة، و بين المؤمن و العالم من جهة أخرى، و أصعب اغتراب حسبه هو ذلك الذي يعيشه العلماء بين المؤمنين، و هو لا يبتعد كثيرا عمّا ذهب إليه "ابن القيم" في تصنيف الغربة إلى ثلاث درجات.

ولقد عايش الكثير من الفلاسفة و المفكرين شتى أشكال الاغتراب في حياتهم و لعلّ أصدق مثال على ذلك الذي قدّمه "أبو حيان التوحيدي" في كتابه (الإشارات الإلهية) فقد كان اغترابه وجوديا، فالوضعية التي عاشها كانت مزرية للغاية، جسّدها شظف العيش و الفقر المدقع، و قد عانى الغربتين المكانية و النفسية، و هو يرى " أنّ الغريب هو ذاك الإنسان الذي يجد نفسه بعيدا عن الجماهير و العامة"[3]، حيث يقول: " وأغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه"[4]، فأشدّ و أصعب غربة هي تلك التي تكون في الوطن بين الأهل والأحباب، كما أنّه يحاول أن يقدّم صورة صادقة عن حال الغريب الذي يحمل غربته داخله، و قد قيل:" الغريب من جفاه الحبيب و أنا أقول بل الغريب من واصله الحبيب بل الغريب من تغافل عنه الرّقيب، بل الغريب من نودي من قريب"[5]، و هذا ما جعل الغريب عنده صورة من صور المأساة فهو يئس من هذه الحياة التي يعيش فيها أمثاله مذلولين، ففضّل

1- ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين(بين منازل إيّاك نعبد و إيّاك نستعين)، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1،2006 ، ص855- 858.

2- فتح الله خليف: الاغتراب في الإسلام، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد1979،1ص92.

3- علي شتا: الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية، مكتبة الإشعاع الفنّية، مصر،(د، ط)، 1997، ص32.

4- أبو حيّان التوحيدي: الإشارات الإلهيّة، تح: عبد الرحمان بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان، ط 1، 1981، ص 115.

5- المرجع نفسه، ص 114.

العزلة عن مجتمعه، و اختار العذاب رفيقا له يواسيه في آلامه، و يزيد من أنّاته الجريحة أمام المحن.

أمّا ابن عربي يقول: " و اعلم أن الغربة عند الطائفة يُطلقونها و يريدون بها مفارقة الوطن في طلب المقصود، و يطلقونها في اغتراب الحال، فيقولون في الغربة: الاغتراب عن الحال من النفوذ فيه، و الغربة عن الحق غربة عن المعرفة من الدهش"[1]، و يمكن القول أنّ ابن عربي صنّف الاغتراب إلى ثلاث أحوال: الاغتراب عن الوطن و الاغتراب عن الأحوال و الاغتراب عن الحق[2]، فإنّ ابن عربي أخرج لفظة "اغتراب"، من حدودها الجغرافية (المكانية) المعهودة إلى دلالات عدة، تمثلت في الاغتراب عن الحق و اغتراب الحال.

و ابن باجة: فهو الذي صاغ هذا المفهوم في اتجاه آخر حيث " أطلق على الغرباء اسم النوابت تشبيها لهم بالعشب النّابت في الزرع من تلقاء نفسه فهم (الغرباء) لا يجتمع رأيهم أمة أو مدينة، فهم و إن كانوا في أوطانهم و بين أترابهم و جيرانهم، غرباء في آرائهم، فقد سافروا إلى مواطن أخرى هي لهم كالأوطان"[3] ، و بهذا يرى أنّ الاغتراب سمة تتعلق بالغرباء و إن كانوا يعيشون في حضانة أمم و قبائل فهم ينفصلون عنها كليّة من ناحيّة الرّؤى و التصوّرات.

1- ابن عربي: الفتوحات المكيّة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط 1، 1999، ج 4، ص 294.

2- عبد الحق منصف : أبعاد التجربة الصوفية (الحب، الإنصات، الحكاية)، إفريقيا الشرق، المغرب، 2007، ص 49.

3- أحمد علي الفلاحي: الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع هجري (دراسة اجتماعية نفسيّة)، دار غيداء للنشر و التوزيع ، عمان، ط 1،2013 ، ص 20.

الفصل الأول :

أبعاد الا غتراب ومظاهره

المبحث الأول : ميكانيزمات الاغتراب.

المبحث الثاني : مظاهر الاغتراب في الرواية.

المبحث الأوّل: ميكانيزمات الاغتراب

أولا: منطلقات الاغتراب.

إنّ ظاهرة الاغتراب لها أسباب كثيرة أدت إلى ظهورها و تفاقمها، فلم تأت من العدم خاصة وأنّها تعلقت بأهم مخلوق ألا و هو الإنسان حيث يعدّ بدوره أحد أهمّ هذه الأسباب والباعث الرئيسي لها حتى نجمت من جرّائها تلك المواقف الاغترابية، و من أبرز منطلقات هذه الظاهرة ما يلي:

1- الاجتماعية:

يسود النظام الاجتماعي بما يتضمّنه من تناقضات، و من عوامل مضطربة في "الحيرة و التخبّط و حالة التعارض و الصّراع بين الشعور و بين اللاّشعور و بين المكتسب والموروث"[1]، فيتذمّر المرء من هذه القيم السّلبية لأنّها تتباين و قيمه الخاصة.

ثم ما يحمله المجتمع المعاصر من صراعات و تناقضات، كان ضحيتها الأول والأخير هو الإنسان، و أنّ نمو و تفاقم هذه الظاهرة –الاغتراب– حسب تفسير "دوركايم" يؤدي إلى ظهور ما يُعرف "بالشقاء المجتمعي الذي يعبّر عن ارتفاع وتيرة اللاّعقلانية في التعامل مع الذات والواقع على حدّ سواء"[2]. بالإضافة إلى الطابع القهري و القسري لضغوطات المجتمع و صراعاته الداخلية و الخارجية، تعدّ الأخطر في تحطيم أحلام الفرد، و من ثمة استسلامه لمرارة الواقع و بؤس المآل.

و من منظور"فرويد" الذي يرى أنّ للمجتمع أثر سلبي على الفرد، إذ صار مجرّد أداة اجتماعية تعيش تحت تصرّف ووطأة المعايير الفاسدة، فتعاني القمع الذي ضاعف من عزلتها و غربتها[3].

1- نادية عيشور: الصراع الاجتماعي بين الممارسة، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع، الجزائر، ط ، 2008، ص 107.

2- المرجع نفسه، ص 108.

3- إيريك فروم: أزمة التحليلي النفسي، تر: طلال عتريسي، المؤسسة الجامعيّة للدراسة و النشر و التوزيع، بيروت، ط1، 1988، ص 37.

2-الدينية:

من المفترض أنّ الدّين وجد لينظّم حياة الأفراد، إلاّ أنّ واقع المؤسسات الدينية يخالف ذلك، انطلاقا من الممارسات الفوضوية للتعاليم الدينية واكتساب الدّين الطّابع الترهيبي للأفراد، و كذا استغلال بعض المفاهيم الخاطئة لتغذية الجانب الروحي.

و ما اغتراب الفرد إلا نتيجة لهذه الانحرافات الدينية ممّا يولّد الجفاف الديني و اعتلال العقيدة عنده[1]. لاسيما إذا كانت المؤسسة الدينية تخدم صالح الأقوياء ضد الضعفاء، مما يجردها من قداستها و روحانيتها.

3-الحضارية:

على الرغم من أنّ الحضارة هي ذلك التقدم و الرقي الذي يسمو بالإنسان ماديا و معنويا في جميع المجالات: السياسية، الاجتماعية، الثقافية والاقتصادية. إلاّ أنّ هذا الانجاز الحضاري قد ينعكس سلبا على الوجود الإنساني لأنها آلت إلى «قيود تقوم بتكبيل الإنسان ومحاصرته»[2]، و بهذا كانت للفروقات الحضارية دورا بارزا في تفعيل الاغتراب ليصبح ملازما للأفراد و المجتمعات.

و على حد تعبير "فرويد" فإنّ الحضارة هي السبب الأوّل والأخير في الاغتراب لأنّها «عُصابية الطابع تقوم على طابع كبت الغرائز و الرغبات»[3]، ذلك لأنّها تمارس الكثير من الضغوطات و الأعباء في سبيل قيام الحضارات.

هذه التنازعات التي من شأنها أن تُحدث اضطرابا، و بروز أمراض نفسية و التي صارت -فيما بعد- أرضا خصبة لحالة الاستلاب (الاغتراب).

1- حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الإنسان بين الحلم و الواقع، ص 98.

2- سليمان حسين: مضمرات النص و الخطاب في عالم جبرا ابراهيم جبرا،منشورات اتحاد كتّاب العرب،دمشق سوريا، (د ط) 1999، ص 08.

3- محمد عباس يوسف: الاغتراب و الإبداع الفني، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة،2004، ص 08.

ثانيا:أبعاد الاغتراب و مظاهره:

للاغتراب مظاهره و أبعاده ميّزته عن باقي الظواهر و الحالات، و قد حصرها الباحثون في خمسة مظاهر، استلهموا بعضها من الدّلالات القديمة السابقة لمرحلة الاغتراب، أمّا البعض الآخر فقد تمّ التأسيس له تبعا للمعطيات العصرية.

و تكمن أبعاد الاغتراب فيما يلي:

أ. العجز:

أشار عالم الاجتماع "ميلفن سيمان" **Melven Seeman** إلى ما يعرف بفقدان السيطرة و ساواه باللاّقدرة أو العجز، فإن عانى العزلة و الضّياع يفقد بالضّرورة التحكّم في ذاته و انفعالاته و ممتلكاته، و يُحرم من الملكية التي يرى "هيغل" بأنّها«وصف مجرد لا علاقة لها بالإنسان و فيها تتمثل الإرادة الفردية»[1]، و يعجز عن التأثير في المواقف الاجتماعية التي يتفاعل معها؛ أي أنّ الفرد المغترب في نظر "سيمان" غالبا ما يشعر بأنه لو «أراد تحقيق أهداف فإنّه يجب عليه عدم التصرف بموجب المقاييس المتعارف عليها اجتماعيا وأخلاقيا»[2]، كأنه يشجع الفرد على التمرد و العصيان بغية تجسيد الذات و بلوغ المراد تحت غطاء الرفض و الانغلاق على النفس.

ب. اللاّمعنى:

إنّ ضياع المرء في هذا الوجود معناه الانفلات الكلّي من كلّ مقومات كينونته الحقيقية و التي تصبح ضده بأي شكل من الأشكال، و حقيقتها إنّما تتطلب انتمائه إلى باطنه و من ثم إلى واقع العالم من حوله، فلا يعرف بذلك للحياة قيمة أو معنى و السبب فيه هو ضياع المغزى بالنسبة لوجوده الذي يفترض الاندماج و الاتصال، و بغياب هذين الآخرين يجد نفسه في حيّز خال من كل بواعث فهم المحيط أو استيعاب فرضية الوجود، فتعطب الحركة

1- أحمد حيدوش: الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون، الجزائر، ص 30.

2- حسن حنفي: في الفكر الغربي المعاصر، المؤسسة الجامعية للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط 4، 1990، ص402.

الدياليكتية بينه و بين واقعه للتعارض الشديد الذي لن يتم قهره إلاّ بصياغة الوطر، و بالتالي ترسيخ البناء القيمي المحقّق لمعنى الحياة عموما[1].

ج. تصدع المعايير (اللاّمعيارية):

استند معظم الاجتماعيين في تحديد مفهوم اللاّمعيارية إلى وصف "دوركايم" للأنومي الذي يعتبره«السبب في الشعور بالانفصال عن الجماعة و عن معاييرها»[2]، أي ما يُعرف باندثار القيم و المعايير، أو النّظم و الأنساق التي تنظّم السّلوك الإنساني و توجّهه.

أوهي كما يعرّفها "سيمان":«الحالة التي يتوقّع فيها الفرد بدرجة كبيرة أنّ أشكال السلوك التي أصبحت مرفوضة اجتماعيا غدت مقبولة تجاه أيّة أهداف محدّدة أي أنّ الأشياء لم يعد لها أيّة ضوابط معيارية»[3]، و بغياب هذه الضوابط أو القواعد، يظهر ما يعرف بالأنومي و الذي يبرز بكونه مظهرا من مظاهر الاغتراب.

و بهذا يصبح التداخل واضحا بين اللاّمعيارية (الآنوميا) و بين الاغتراب حيث فسّر "ميرتون" الأنوميا بأنّها: «اغتراب المرء عن الأهداف و القواعد التي وضعها المجتمع»[4]. وبهذا فإنّ تلاشي القيم و المعايير يُفقد الفرد ثقته في ذاته وفي غيره، ليعاني الفراغ النفسي والاجتماعي، وهو ما يسبّب انطوائه على ذاته.

د. العزلة الاجتماعية:

و هي مظهر من مظاهر الاغتراب، فبعد أن وجد الإنسان علاقته مع حياته الطبيعية و الاجتماعية قد آلت إلى علاقة شبيهة بعلاقة الإنسان البدائي بالضم و هو –الفرد– مجرّد مطيع لاخلاص له من الواقع المحتوم والمأزوم، يفتقر إلى الأمن و الاندماج النفسي فيحيا بذلك « حياة عزلة و اغتراب لا يرى من خلالها قيمة كبيرة للأهداف و المفاهيم التي يثمّنها

1– حسن حنفي: في الفكر الغربي المعاصر، ص 402.

2– علي شتا: الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية، ص 267.

3– يحيي الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي، الحنين إلى الأوطان، مجدولاي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008 ، ص 19.

4– ريتشارد شاخت: مستقبل الاغتراب، تر: وهبة طلعة أبو العلا، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر،2001، ص181.

أفراد المجتمع»[1]، و ما رافد هذه العزلة إلى مفارقات هذه الحياة و معضلاتها العويصة التي انبثقت من صميم شؤون الحياة و ملابساتها، ومعطياتها ممّا يجعل الفرد يحسّ بمسافة كبيرة بينه و بين الآخرين، و لهذه المسافة انعكاسها و أثرها السلبي على سيكولوجية هذا الإنسان، لأنه في زمان قد فرض الشرّ فيه بالقوة مهدّدا بذلك الكيان الإنساني و مصيره بتحطيم إلغاء وتفاعله مع بيئته الاجتماعية.

هـ. الانفصال عن الذات:

هناك من يرى أنّ اغتراب الفرد عن ذاته ما هو إلا ابتعاد عن أقرانه من البشر الذين يحيطون به و قد يعود السبب في ذلك إلى ما يعرف بالتفاضل الاجتماعي، و هو أنّ كل إنسان يرغب دائما في أن يعيش أفضل حياة، و مع أنّه اجتماعي فهو ليس كذلك كليّة، لأنه قد يُؤثر الوحدة حتى ينعم بالسعادة في مجتمعه بكلّ حرية و لأنّ لديه «أفكارا قد تكون حكيمة أو خرقاء، نبيلة أو وضعية، مملوءة بالمحبة أو مشحونة بالبغضاء»[2].

فكل ما يهمّه هو تحقيق المثالية حتى و إن كان جسر الوصول إليها يناقض مبادئه وينافيها.

قد تكون العلاقة السببية بين الاغتراب عن الذات، و الانفصال عن المجتمع عكسية، بمعنى أنّ اغترابه عن باقي الناس، وعدم توافقه معهم قد يؤدي به إلى التأمل في ذاته للبحث عن البواعث و العلل، قد يخلص إلى أنه المختل و غير السويّ وبالتالي ينفصل إمّا ليقوّم الاعوجاج أو ليُحدث الانسجام.

أمّا إذا حدث العكس فإنّ انفصاله سيؤدي إلى نفوره من إقامة أيّة علاقة مهما كان صنفها لأنّ الأمر يستدعي معالجة الذات بغية التعايش أوّلا و أخيرا.

1- يحيي الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي، ص19.

2- برتراند راسل: السلطة و الفرد، تر: شاهر محمود، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط 1، 1961، ص 135.

ثالثا: أنواع الاغتراب:

1.الاغتراب الذاتي (النفسي):

إنّ غاية الفرد في هذا الوجود هي العمل على إثبات ذاته و العيش بكل عفوية و حرية، إلاّ أنّ الملابسات القاهرة، و الظروف المناقضة لمبادئه قد تزعزع فيه يقينه بمثالية ذاته أو قدرتها على إدراك حقيقتها، فينسلخ منها و يصبح غريبا عنها تماما، ممّا يجعل ذاته الفعلية التي تتضمن الأحاسيس و الآراء مسلوبة منه و كذا الحقيقة من خلال السعي الدائم نحو النمو الفردي بشيء من الأصالة و قدر من القوة.

و كرأي مدافع لما ذكرناه تعتبر "هورني" الاغتراب عن الذات « وضعا يتضمن قمع الفردية و العفوية لدى الفرد»[1]، فيفقد الفرد بذلك روح الاطمئنان إلى كل ما يحيط به، و يفتقر إلى الأمن النفسي بل صار يتوسل بالحيطة و الحذر حتى ينعم بالهدوء و الاستقرار.

و الاغتراب الذاتي حسب "كارل ماركس" هو« الفقد الكلي للإنسانية و نزعتها في مجالات الحياة الاجتماعية و الحسية»[2]، و هذا راجع إلى الظروف الإنسانية التي تعيشها هذه الذات فلا تتضح بذلك الهوية و لا تعرف حقيقة ما يجب أن تكون عليه.

و إذا حاولنا تسليط الضوء على هذا النّمط من الاغتراب من خلال تحليل فلسفي للماهوية أو جوهرية الروح الإنسانية، يتعيّن علينا أن نتبنّى آراء بعض الفلاسفة بغية إكساب هذه الظاهرة طابعا إطاريا تسير وفق مجاله المحدّد.

فهذا "هيغل" مثلا، يرى بأنّ تحقيق الطبيعة الجوهرية للإنسان يستدعي استنطاق وجوده في بنية اجتماعية تتضمن أنساقا تتوافق وطموحاته[3].

و في تحليله أيضا بما يعرف بالوعي الشقيّ كحالة اغترابية، يرى هيغل بأنّ«الروح قد تجاوزت مجرّد الحضرة إلى ما هو أعمق، فهي معرفة الذات في صميم اغترابها، أي أنّها

1- فيصل عباس: الإنسان المعاصر و شقاء الوعي، ص 62.

2- يحيى العبد الله: الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، ص 34.

3- ينظر: فيصل عباس: الإنسان المعاصر و شقاء الوعي، ص 165.

الماهية التي تستبغي في صميم وجودها تكافؤها مع الذات»[1].

و في السياق ذاته يرى المحلل النفساني و الفيلسوف "إيريك فروم" بأنّ هذا النوع من الاغتراب (الذاتي) هو أخطر الأشكال و أعظمها جدوى و الباعث إلى ظهوره هو إخفاق الإنسان في «أن يصبح ذاتا أصلية لها سمات معيارية و مثالية تحدّد ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان»[2]. و يقصد بالأصالة هنا القدرة على التفكير و الإبداع.

و الاغتراب الذاتي لصيق بالاغتراب الوجودي إلاّ أنّ الأول قد تتحكم فيه النطاقات السيكولوجية، في حين يتصدى الثاني لأزمة الهوية حتى يحقق ما يعرف بالكينونة، وقد يكون هذا النّمط من الاغتراب الباعث الأساس في ظهور الأنواع الأخرى و السّبب في تفعيلها و تصعيدها، لكن "فروم" يذهب عكس ذلك فيرى بأنّ التوافق و الانسجام مع أغلبية الأفراد قد يؤدي إلى الاغتراب عن الذات أو الالتحام مع البنية الاجتماعية.[3]

و من بين المؤيدين لـ "فروم" نجد فيورباخ" و "ماركس" اللذان يعتبران «الاغتراب تباعدا بين وضع الإنسان الفعلي و بين طبيعته الجوهرية أو المثالية»[4].

و بهذا فإنّ الاغتراب الذاتي هو ضياع الفرد و شعوره بالانفصال كما يرغب في أن يكون عليه، حيث تسير حياته بلا هدف و تصبح بلا معنى، كما ينظر إلى هذا الشكل على أنّه اضطراب نفسي «يشمل اضطراب الشخصية الفصامية»[5]، و الشخص الفصامي هو ذلك المرء الذي ينفر من إقامة علاقات اجتماعية و من مسؤولية الطرافة أو الحميمية مع الآخرين.

1- ينظر: فيصل عباس: الإنسان المعاصر و شقاء الوعي، ص 165.

2- محمد عباس يوسف: الاغتراب و الإبداع الفني، ص 60

3- المرجع نفسه،ص 62.

4- الشيخ محمد الشيخ: التحليل الفاعلي، نحو نظرية حول الإنسان، ص124.

5- يحيي الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي، ص20.

كما يتداخل هذا النوع، الاغتراب الذاتي مع الاغتراب النفسي إلاّ أنّ هذا الأخير عام ويشمل جميع الأنواع، كما قد يتعلق ببعض الجوانب البيولوجية الخاضعة لأجهزة عضوية الإنسان و التي تترجمها الأمراض الدالة على عدم سوية هذا الفرد.

أمّا الأول فهو«اضطراب في العلاقة التي تهدف إلى التوفيق بين مطالب الفرد وحاجاته و رغباته و بين الواقع من جهة أخرى»[1]، و إذا انعدم التوفيق بين متطلبات الفرد وبين مقتضيات الحياة الواقعية، وتعارضت مع مبادئه استدعى كل ذلك انقطاع التفاعل والانفعال الكلّي لدى المرء و الانغماس في تُرّهات الألم و التذمّر و الانسحاب من ميدان الحياة الاجتماعية.

تعبّر "نيقولاي برديانق" بأنّ «انعزال الذات انعزالا مطلقا و رفضها الاتصال بأيّ شيء خارجها أو بـ(الأنت) عن الانتحار»، فعلى الذات أو الأنا أن تشتاق إلى وجود أكثر عمقا وأصالة، و إلاّ تكون مجرّد أداة موضوعية بل ينبغي أن تحدّ من الانغلاق على نفسها بالعلوّ و الاتحاد مع غيرها من الذوات.

و لأنّ الاغتراب عن الذات يعزو إلى عوامل خارجية كالظروف اللاإنسانية مثلا، و إلى البواعث الوجدانية الانفعالية كافتقار الفرد إلى النوادر الحميمية تصبح «العلاقة الذاتية علاقة سلبية»[2]، فلا فرصة للانتماء أو الخضوع إلى هذه الذات لبتر العلاقة السابقة الذكر، و كحلّ قاهر للاغتراب الذاتي لابدّ من البحث عن الذات بتحديد الهوية، و ذلك عن طريق«إبراز خصائصها و جوهرها الشخصي في ضوء ماضيها و حاضرها و إمكانياتها الفكرية والسيكولوجية و الفيزيائية»[3].و بهذا تحاول الذات الحفاظ على نفسها من العزلة و الاغتراب الذاتي و الاجتماعي معا.

1- زينب محمود شقير: مقياس الاغتراب النفسي، مكوّناته و مظاهره، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط2002،1، ص 08.

2- نيقولاي برديانق: العزلة و المجتمع، تر: فؤاد كامل عبد العزيز، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1960، ص113.

3- إمام عبد الفتاح إمام: دراسات هيغليّة، دار الثقافة للنّشر و التوزيع، ، القاهرة، مصر، 1983،ص 402.

2.الاغتراب الاجتماعي(السوسيولوجي):

كثيرا ما يسعى الإنسان إلى خلق عالما نموذجيا خاصا به انطلاقا من طموحه في المثالية، هذا ما ينتج عنه الانفصال عن الواقع و عن الآخرين. إذ نجد الفرد ينزع إلى الوجود و عدم التفاعل مع غيره من الأفراد لنقص الألفة، وندرة التعاطف والروابط الاجتماعية خاصة أنّ:

• المجتمع حسب"ماكيفر وبيج" عبارة عن «نسق مكوّن من العرف المنوع و الإجراءات الموسومة من السلطة المعروفة المتبادلة ومن شتى أوجه ضبط السلوك الإنساني والحريات»[1]، فقد تجاوز المجتمع بذلك محدودية جماعة من الناس فقط إلى ما هو أبعد من تنظيمات و اتجاهات و وحدة كاملة مكتملة، إلاّ أنّ انشقاقها قد يؤدي بالفرد إلى نبذ نواميس السائد الاجتماعي و قد لا يكتفي عند هذا الحّد، و لا بمغادرتها فقط و إنّما يقوم «بمحاولة إسقاطها إمّا بتغيير القانون الاجتماعي (و هذه ردة فعل ايجابية ثورية) أو بالتدمير»[2]، وهذا ما يعدّ تمرّدا و عصيانا لقيم المجتمع.

و يعزو "أجوركول" انعزال الإنسان عن مجتمعه إلى ضغوط المجتمع و متطلبات الواقع فينتج عنه تأزّم نفسي كبير، و ينفر من ملاحقة ما يجري من تغيرات متصاعدة تحيط به، و لأنّ كل مجتمع يريد من الفرد«أن يتماثل في المعايير العامة، يسعى كل فرد ليتماثل في معايير الذاتية و لا يدرك ما يحدث بل ولا يعي المغزى من وجوده»[3] مما يؤدي به إلى انعدام الكفاءة الاجتماعية كإحساس ذاتي يعيشه «حيث يشعر بأنّه أقل من الآخرين، وأنّه

1- حسن عبد الحميد أحمد رشوان: الأدب و المجتمع، دراسة في علم اجتماع الأدب، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، ط 1، 2004/ 2005، ص 283.

2- يحيى العبد الله: الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، ص 80.

3- ماجد قاروط المعذّب في الشعر العربي الحديث في سوريا و لبنان من عام 1945 إلى 1985، دراسات جمالية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، 1999، ص 172.

دون مستوى الوضعيات، وهو إحساس داخلي في معظم الأحيان أكثر منه موضوعي فعلي »[1].

و أكثر أشكال العزلة خطورة هو ما تعانيه الأنا وسط المجتمع لذا يعسر التغلب عليها، «إلاّ في المستوى الوجودي بالتقاء الأنا مع أنا أخرى»[2]، و بهذا الالتقاء يشرع هذا الفرد في مناقشة واعية و مدركة لكيانه و ذاته و كل ما يحيط به من عادات و تقاليد، تمكّنه من تحديد إرادته للحياة داخل المجتمع « فقد لزم عليه أن يعيد النظر من جديد في المجتمع الذي يعيش فيه وفي قيم العالم الذي وجد فيه»[3]، و هناك نوعان من الصّراع الاجتماعي من حيث مستوياته عمقا وهما:

أ. الصراع الداخلي: وهو الذي يحدث داخل المجتمع الواحد بين الوحدات العرقية أو الفئات الدينية أو الطبقات الاجتماعية وقد تتزايد حدّته إلى قيام الثورات الداخلية و الحروب الأهلية.

ب. الصراع الخارجي:« و هو الذي يحدث بين الدول و تستخدم فيه القوة المسلحة»[4]، ولهذه النزاعات أثرها البالغ في تفعيل تحيين الاغتراب و تعميق الشعور به، و جعله كالدّم يسري في عروق الأفراد هروبا من أمراض الواقع المعيش.

أمّا البعض الآخر فقد اعتبره قيميا حيث يشعر الفرد فيه بالتناقض بين قيمه الخاصّة والقيم السائدة في مجتمعه أمثال "جورج لوكاتش" لأنّه رأى بأنه كلّما زادت درجة التناقض بين ما يدركه الفرد «على أنّها قيم هامة بالنسبة له و ما يدركه على أنها قيم الآخرين زاد ذلك من إحساسه بالاغتراب»[5].

1- مصطفى حجازي: سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط9، 2005،ص238.

2- نيقولاي برديّاق: العزلة و المجتمع، ص 118.

3- محمد زكي العشماوي: دراسات في النقد الأدبي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،دط،دت، ص 70.

4- نادية عيشور: الصراع الاجتماعي بين الممارسة، ص 64.

5- محمد عباس يوسف: الاغتراب و الإبداع الفني، ص 28.

هذه الهوّة بين الفرد و مجتمعه تؤدي إلى تحوّله لشخص أنومي«لا يخضع لمعايير من أيّ نوع، و الذي تعوزه قواعد يعيش بها لتنظيم رغباته وتوجيه أعماله، و آفاق محددة يهتدي بها فكريا و سلوكيا»[1]. و هذا النوع من الاغتراب يُفقد الإنسان إنسانيته و قيمه الاجتماعية السامية.

3.الاغتراب الديني(العقدي /الروحي):

من خلال ما سبق بات واضحا أنّ الاغتراب قد صار دالاّ على فقد الإنسانية أو عدم اكتمال التأنسن على حدّ تعبير "ريتشارد شاخت"، إلاّ أنّ الإنسان الذي يسعى دائما إلى تلبية حاجاته و يبحث عن الاستقرار النفسي والمادي، لن يجد متنفسه إلاّ في دينه الذي يغذّي روحه و يعوضه ثقل المعاناة، ولما كانت المعرفة الروحية أرقى أشكال النشاط الإنساني كان من الضروري أن يطعّم إيمانه بالله تعالى، و يشبع عاطفته الدينية ليحقق وجوده، و يعترف بالعالم الخارجي بدلا من إنكاره أو الوصول إلى حالة من العدم.

و لكن "فيور باخ" يذهب إلى أنّ الدين في حد ذاته نوع من أنواع اغتراب الإنسان عن نفسه كونه «يعكس من خلال إيمانه الديني أفضل ما لديه، و في نفسه من صفات على ما هو خارج عن ذاته»[2]، و قد قلب"فيور باخ" التصور التقليدي للذات (منذ ديكارت) في تأسيسه لمفهوم الاغتراب لأنّه يؤكد على أنّ الذات تتسلح بالدّين لتواجه المعضلات حتى وإن كلّفها الأمر الانسلاخ الكلي منه، لكونها انفعالا و ليس فعلا و لا تتحدّد إلاّ بغيرها« و أنّ انفتاحها على المعنى الباطني للوجود كله يستلزم القدرة على التواصل بين الأنا و الكون الذي هي جزء منه»[3].

فموقف "فيور باخ" من الدين موقف اغتراب لأنّه يفصل الله عن الإنسان الذي اضطلع إلى ثلاث قوى حتى تتغلغل في طبيعته الجوهرية دون عناء، كالعقل و الإرادة و الوجدان،

1- قيس النوري: الاغتراب اصطلاحا و مفهوما و واقعا، عالم الفكر، ص 28.

2- حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية، ص 38.

3- نصر حامد أبو زيد: هكذا تكلم ابن عربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2002، ص 138.

أمّا الدّين فهو« نتاج الإنسان البدائي الذي دفعه الخوف من مواجهة أخطار الطبيعة التي تحيط بنا»[1]، فإذا صار الدّين غريبا عن الإنسان سعى هو الآخر إلى الانفلات منه أو الانفصال عن حسّه الديني، و يعود بذلك« شكلا من أشكال التحوّل الإيديولوجي، بالإضافة إلى أنّه انتقال من حالة دينية أو عقدية إلى حالة مجاورة أو مباينة»[2].

و هذا الانسلاب نوع من الغربة الروحية الناتجة عن القلق الوجودي، و ذات منشأ ذاتي بفعل عوامل خارجية قد حرمتها على النبذ و العبث والانكماش، فالاغتراب الديني ما هو إلاّ مظهر من مظاهر الاستلاب الاجتماعي.

4. الاغتراب الإيديولوجي(الفكري):

استعمل الاغتراب ليدل على معان عدّة، فهو مثلا شعور ينتاب الفرد و يعبر عن عجزه في التكامل الذي يحقق انسجامه مع الجماعة و المجتمع، كما يدل على فقدان القوة، و للمحيط الخارجي بجلّ تمفصلاته و تأثيره الحاصل على الفرد الذي يستحيل عليه أن ينفصل عن بيئته الطبيعية.

و لكي تؤدي جماعة معينة من البشر وظائفها الاجتماعية، لابدّ من تجميع آراء و أفكار توحّد وتحدّد وجهة وظيفتها وتمكنها من القدرة على المعارضة أو الموافقة و إلاّ المحايدة في بعض الأحيان، و هذه الأفكار تتضمنها ما يعرف بالايدولوجيا، و هذه الأخيرة مجموعة من «التصورات و الأفكار المستمدة من مذهب قيمي معتنق يُعتقد بمصداقيته، حتى تكون قادرة على صياغة المعايير التي تترجم قوالب مجردة بمقتضاها تصدر الأحكام المعيارية و السلوكية»[3].

1- الشيخ محمد الشيخ: التحليل الفاعلي، نحو نظرية حول الإنسان، ص122.

2- سليمان حسين:مضمرات النّص و الخطاب في عالم جبرا إبراهيم جبرا، ص 207.

3- نادية عيشور: الصراع الاجتماعي بين الممارسة، ص79.

و نزاهة هذه الأفكار تؤدي إلى تكريس المرامي السليمة وتعزيز روح التضامن والانتماء و العمل على ضبط الواقع الاجتماعي حيث «أصبحت صيغة جدلية لوحدة الفكر والممارسة و ثمرة للمعاناة النضالية، الفكرية و العلمية»[1].

والايدولوجيا من منظور مخالف نوعا ما، تمثل أحد أبرز سمات الاغتراب لأنها «تتناول الأفكار والقيم التي يضلّل التطور الحضاري وعي الناس، فهي تعكس الواقع الاجتماعي المادي القائم، ذلك لأنّ الفكر و الشعور عبارة عن انعكاس البناء الطبقي»[2]، فهي تتضمن المناخ الفكري و المعتقدات العامة، و تمتلك أيضا أحقية التعبير عن المواقف السياسية و الاجتماعية بشتّى أنساقها و مختلف توجّهاتها، فهي على حد تعبير "ماركس" «البناء الفوقي الذي يعكس أو يطابق البناء التحتي»[3].

و الاستلاب الإيديولوجي معناه أن يحسّ الفرد بتناقض التصورات القائمة مع مبادئه الخاصة التي استقلت بنماذجها المنفردة من التفكير أو المعارف للتعبير عن العواطف وإشباع الحاجات[4]، فإن شكّلت الجوّ الملائم للأنساق الاجتماعية و الأنظمة السياسية القائمة كان السبب في اغترابه الإيديولوجي هو الخلل الذي أصاب هذه الأنساق، و ما عليه–الفرد– سوى اتخاذ موقف سلبي يرفض الأساليب و نقد الواقع بصورة مستمرة.

5.الاغتراب اللّغوي:

الاغتراب هو عجز الفرد عن إيصال أفكاره الناتجة عن فقدانه للغة التواصل في وطن اغترابه، أو عدم قدرته على استيعاب لغة الآخر، ممّا يصعّب الحوار و التفاهم و قد يجعله مستحيلا.

1– إلياس فرج: تطوّر الإيديولوجية العربية الثورية، الفكر القومي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، ط7، 1979، ص 11.

2– خالد حامد: المدخل إلى علم الاجتماع، جسور للنشر و التوزيع، الجزائر، ط 1، 2008، ص 79.

3– المرجع نفسه، ص 80.

4– المرجع نفسه، 81.

و يغترب الفرد في لغته، كأن يستعمل ألفاظا خادعة لإيصال أفكار ما، و في هذا يؤكد "فروم" «أنّ الاغتراب اللّغوي يصبح فيه المرء واقعا تحت وهم مفاده أنّ نطق الكلمة يعادل التجربة، وأنه إذا ما جعلت اللغة من نفسها بديلا عن التجربة المماثلة تصبح عاجزة أن تكون رمزا للحقيقة»[1].

في هذا الإطار يضيف "شاخت" «أنّ اللّغة تصبح مغتربة عندما نقع تحت وهم أنّ نطق الكلمة يساوي الشعور بها»[2]؛ أي أنّه يجب أن تكون هناك مساواة في نطق الكلمة وفي الشعور بها، أمّا إذا كان هناك تفاوت فهنا يقع الاغتراب اللّغوي حسبه.

و بهذا، فان اغتراب اللّغة يكمن في وقوع عقل الفرد في زيف و خداع ينتج عنه انحراف اللّغة من أداء وظيفتها الأساسية باعتبارها رمزا حقيقيا.

المبحث الثاني: مظاهر الاغتراب في الرواية.

تعدّ ظاهرة الاغتراب جزء من نسيج الحياة الاجتماعية و الثقافية، إذ تنعكس أبعادها في كل مناحي الوجود، الاجتماعي والفكري والأخلاقي و النفسي...، حيث يأتي نتاجا لإكراهات شتّى، ممّا يتولّد عنه عجز الإنسان عن التأقلم مع واقعه، بما يحمله من اضطرابات في العلاقات الاجتماعية و الانتماء إلى الوطن، و ما يصاحبه من الشعور بالقلق و الاستقرار، هذا ما نريد توضيحه في هذا المبحث من الدراسة، و استخراج أهمّ مظاهر الاغتراب في الرواية ففيما تتمثّل هذه المظاهر؟

أولا:الاغتراب الاجتماعي:

لقد ظهر بعض مظاهر الاغتراب الاجتماعي لدى شخصيات الرواية "بروكلين هايتس" و منها الاضطراب في العلاقة بين عّدة شخصيات الرواية، خاصة فيما جمع بين "هند" و"ابنها" في الكثير من المواقف، إذ يعبّر عن ضعف الرابطة الاجتماعية بينهما و محاولة هند في الكثير من الأحيان و هي تعيش في وطن الغربة.

1- يحيى العبد الله: الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، ص 28.

2- المرجع نفسه، ص 29.

الأماكن التي تذكّرها بحياتها الماضية، كحي العرب (البيرج) الذي يتجمع فيه العرب فتشتمّ فيه رائحة وطنها الأم "مصر" فتشتهي أكل الكشري و الحديث باللّغة العربية دون الشعور بالنقص وهذا ما كان يؤرق ابنها رافضا دعوتها في مرافقتها إلى هذه الأماكن، ويتضح ذلك في الحوار التالي[1]:

كلّما أرادت أن تعود إلى حيّ العرب، تحت وقع الحنين أو المقت، يرفض أن يذهب معها و يطلق تصريحاته الحادّة:

- لا أحبّ أن اذهب عند العرب.
- لماذا؟
- البيرج مش نظيف، و كمان فالجر(Vulgar) . وأنالا أريد أن أكون واحدا منهم.
- لماذا تحبين هذا البيرج؟
- ربّما يذكرني بمصر.

و هنا نكتشف بؤرة اغتراب اجتماعي واضحة بين هذين الشخصيتين الرّئيسيتين(الأم،الابن)، هذا النوع من الاغتراب الناتج عن عدم قدرة المغتربين عن التفاعل مع أفراد مجتمع الغربة الجديد، فالاغتراب الاجتماعي يتمثل في « شعور الفرد بعدم التفاعل بين ذاته و ذوات الآخرين، و البرود الاجتماعي، أي ضعف الروابط مع الآخرين و قلة أو ضعف الإحساس بالمودة و الألفة الاجتماعية معهم، و ينتج ذلك عن الرفض الاجتماعي الذي يعيش في ظلّه الإنسان في افتقاد دائم للدفء العاطفي»[2].

كما أنّ التنشئة الاجتماعية لها علاقة قوية و ارتباط بالجدل القائم حول واقع الإنسان والاغتراب، ذلك لأنّ « مرونة الحاضن الثقافي، و مدى قدرته على التكيّف وفقا لمعطيات الطبيعة الإنسانية الفردية و التوافق مع متطلباتها، تشمل الشرط الموضوعي لنشأة الشخصية

*بروكلين هايتس: أحد أحياء مدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكيّة.

1- ميرال الطحاوي: بروكلين هايتس، دار الآداب للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 2010، ص 47.

2- جديدي زليخة: الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعيّة، جامعة الوادي، الجزائر، العدد 08، 2012، ص15.

الإنسانية و تطورها، ومدى قدرتها على الحضور و التماسك و الإبداع... كما تكمن أهمية التنشئة الاجتماعية في بناء الإنسان و تحقيق تكامله النفسي و الاجتماعي، أو في سحق وجوده و دفعه إلى دائرة الاغتراب».[1]

هذه التنشئة الاجتماعية التي أثّرت بحق في تكوين شخصية "هند" التي تربّت على أساليب تربوية متناقضة تتراوح بين القيم الأخلاقية السامية، و ما يقابلها من قيم لا أخلاقية، شكّلت تناقضا و تمزقا نفسيا في داخلها، ولاسيما و هي ترى أبوها يجمع بين المتناقضات، بين شرب البيرة و سرد القرآني في نفس الوقت، يظهر ذلك في العبارات التالية «اعتاد أبوها أن يتناول البيرة قبل أن ينام ... يتحلّقون حوله قبل أن يبدأ في سرد قصة سيّدنا موسى ... و يقول بين كل مقطعين "صلّوا على النبي"، تحب هند قصة سيّدنا يوسف أكثر، وتحب صوته وهو يردّد مقاطعها بهذا التأثر الشجّي، و هو يبتلع جرعة من الرّغاوي الصفراء في كوب البيرة، يقف على تلك الآية و يكرّرها «يا بنيّ لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إنّ الشيطان للإنسان عدوّ مبين»، يحفظ النص القرآني ولا يخطئ في تشكيله وتنقيطه، يشرب البيرة على مهل و يكمل «قال يا بنيّ لا تدخلوا من باب واحد و ادخلوا من أبواب متفرقة»[2]، هذه القيم المتضاربة ساهمت في تشكيل شخصية مضطربة لـ"هند"، و التي كانت لها الأثر الفعّال في إحساسها بالاغتراب الذاتي و هي داخل وطنها الأم قبل أن تهجره إلى بروكلين هايتس في أمريكا.

يظهر لنا ذلك في الكثير من سلوكاتها المتناقضة، خاصة في القدرة على تغيير مواقفها و قناعاتها و مبادئها، من خلال المقاطع النّصيّة في الرواية التالية: «في تحولاتها لتحقيق بطولاتها، أصبحت هند أوّل بنت ارتدت في المدرسة هذا الحجاب المسدل الطويل ...

1- حمّاد حسن أبو شاويش: ابراهيم عبد الرّزاق عوّاد، الاغتراب في رواية "البحث عن وليد بن مسعود "لجبرا ابراهيم جبرا، مجلة الجامعة الإسلاميّة، مج 14، العدد 02، 2006،

2-ميرال الطحاوي، بروكلين هايتس ، ص85.

وقالت: أنّ الله أمر بالخمار و ليس بالإيشارب الشيفون الهفهاف، ثم غضّت بصرها عن زجاجة كبيرة، و استغفرت كثيرا لأنّ أباها في الحقيقة رجل طيّب»[1].

و تكمل توجهها الديني في كونها« أوّل من لبس قفازا اسود، و قالت بتواضع أنا لا أصافح لعن الله المصافح و المصافحة...كما كانت أوّل من استبدل صباح الخير لزميلاتها بالسلام عليكم»[2]، و قد ضلّت "هند" لفترة طويلة على هذا الحال، و لكن أثر التنشئة ظهر من جديد في سلوك آخر مغاير و مناقض للأوّل فكانت « مثلما لبست هذا الإسدال الأسود الطويل، كانت أوّل من خلعته، و قالت أنّ الستر لا يتنافى مع الجمال، و أنّ الله أباح ما ظهر منها...فاستبدلت بالأثواب الواسعة التي تجرّها و راءها في التراب، أخرى أقصر، أضيق، و أكثر انسجاما مع تضاريس جسدها، إذا لم يثبت تحريم لها...[تقول] إنّ الله غفور رحيم»[3].

و ها هي تحمل معها هذا الاغتراب الذاتي من وطنها الأصلي إلى موطن الغربة الناتج عن تلك التربية المتناقضة، فهي « تسير في فلات بوش مكشوفة الرأس نظراتها مصوّبة إلى الأرض لأنّها لا تستطيع أن ترفع رأسها أبعد من ذلك، نظراتها الخائفة ميراث طويل من غضّ البصر و الخوف و الانسحاق و التلاشي في آن»[4].

و لهذا تبحث هند عن ذاتها في مجتمع الشخصيات المتضاربة في ظلّ ميراثها الثقيل من عادات وتقاليد، حيث ظلّت وهي في منتصف العمر تقيم مقارنات دائمة بين حضارتين، حضارة المدينة التي أتت منها و حضارة دولة كبيرة (و م أ)، بين حاضرها و ماضيها، بين شوارع مدينتها التي ترعرعت فيها، و بين شوارع بروكلين، بين منزلها القديم و منزلها الجديد، هكذا عاشت "هند"صراعا يغلب على جميع جوانب شخصيتها الذاتية الفكرية و الاجتماعية.

1- ميرال الطحاوي، بروكلين هايتس، ص 87.

2- المصدر نفسه، ص88.

3- المصدر نفسه، ص89.

4- المصدر نفسه، ص 89.

ثانيا:الاغتراب النفسي:

إنّ الاغتراب من منظور نفسي هو الحصيلة النهائية للاغتراب في أيّ شكل من أشكاله، إنّه انتقال للصّراع بين الذات والموضوع، من المسرح الخارجي إلى المسرح الداخلي في النفس الإنسانية انه اضطراب في العلاقة بالموضوع على مستويات و درجات مختلفة تقترب حينا من السواء و حينا آخر من الاضطراب، وقد تصل إلى الاضطراب الأخير للشخصية بحيث يرى "وايت"« أنّ الاغتراب النفسي هو اغتراب عن الذات أيضا حيث يرتبط ارتباطا موجبا بالاغتراب عن المجتمع، ومنهم من يذهب إلى أنّ الاغتراب غربة عن الذات»[1].

في حين يرى "ايركسون" «أنّ الاغتراب النفسي هو عدم الشعور بتحقيق الهوية وما ينتج عن ذلك من أعراض،فالفرد الذي لم تحدّد هويته بعد يُعتبر مغتربا لأنّه يفتقد الإحساس بالأمن الناتج عن عدم تحديد الهدف المركزي لحياته»[2].

هذا ما نجده واضحا في الرواية، فهند المرأة المنكسرة التي تركت وطنها الأمّ و هاجرت مع ابنها الوحيد إلى وطن غريب طلبا للقمة العيش وهروبا من واقعها المرير، لكن ما إن وضعت قدماها هذا الوطن حتى اكتشفت أنّها غريبة في كل شيء؛ الحياة الاجتماعية ويومياتها اللاّمألوفة، عادات جديدة، ولغة مخالفة، كلّ هذا جعلها تشعر بغربة اجتماعية، لغويّة ممّا انعكس على حياتها النفسية فلم تعد تشعر بذاتها خاصة و أنّ كل الظروف المحيطة بها تزعزع ذلك التوازن و التماسك النفسي عندها، ممّا يفقدها الاستقرار والطمأنينة، هذا ما يتطابق مع تعريف"آجور كول" الذي يرى أنّ «اغتراب الذات هو ذلك الشعور بأنّ الذات الخاصة و القدرات تصير شيئا مغتربا، و تكون مجرّد وسيلة أو أداة لغيرنا»[3].

1- جديدي زليخة: الاغتراب، ص 15.

2- المرجع نفسه، ص 15.

3- يحيى العبد الله: الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، ص 34.

فنجد مثلا العبارة التالية تعبّر عن هذا الاغتراب و الفقدان النفسي لذاتها فتقول:«تمشي لأنّ الغرفة التي تسكنها مقبضة، ولأنّها لا تستطيع النوم ليلا، ولأنّ روحها القلقة تجعل الاستكانة التي في عينيها مخيفة وحين يعودان في نهاية النهار سيجلس إلى جوارها يتابع شاشة التلفزيون، و هي تدفن رأسها في الأغطية أكثر و تحلم بهم، تحلم بحياتها التي تنساها و تضيع من يدها»[1].

و نتيجة لهذه الحياة اللاّمتوازنة سيكولوجيا، نجد "هند" تعيش حالة من الحزن والألم والاكتئاب تعبيرا عن شعورها بالوحدة وعدم الأمان، فتلجأ إلى السلوك الانطوائي من واقعها المتأزّم، نستخلص هذه الحالة من العبارة التالية « تنام هند كثيرا لأنّها متعبة ووحيدة، ولا تجد ما تفعله، تغطّي وجهها لتخفي عنه (ابنها) أرقها»[2]، و يكشف ابنها حالتها وهو يقارنها بمشاهد على التلفاز، تترجم مثل هذه الحالة النفسية لتقدّم لهم الحلّ الخيالي (الافتراضي) في ما يسمى بـ"سيمبولتا" من خلال « وهو يشاهد في الشاشة وجوها مرهقة مثل وجهها في الإعلان: الاكتئاب، حزن، تعب، اجتهاد، عدم رغبة في الكلام،كآبة، تفكير في الانتحار... اسأل طبيبك عن حل الاكتئاب مؤلم. اسأل طبيبك عن سيمبولتا...سيمبولتا سيساعدك»[3]، وكأنّه –سيمبولتا– المنقذ و المخلّص من هذا الواقع المؤلم.

هذا النوع من الاغتراب الذي يُعدّ من أخطر أنماط الاغتراب، لأنّه يمسّ بالدرجة الأولى تفاعل الذات مع المحيط الخارجي، و الذي يحدث خللا فيه، فتشعر الذات بنوع من الاضطراب و الانفصال عن الواقع، القلق الروحي، الوحدة، هذا ما نقرأه في هذه الحالة لـ:"هند" عندما «عبرت نسمات الربيع على فلات بوش، وصار طفلها مشغولا أكثر بقطع الشطرنج، وملاحقة أيرون مان و سبونش بوب، صارت تقطع آخر النهار بأن تجلس على باب البناية على المقعد الخشبي، أمام كوكوبار، مقعد يواجه مستر فلافل و يكشف الأفنيو

1– ميرال الطحاوي، بروكلين هايتس، ص 17.

2– المصدر نفسه، ص 100.

3– المصدر نفسه، ص 100.

العريض. مقعد يجلس عليه بعض المدخنين إذا أرادوا أن يشعلوا سجائرهم، و يستند عليه الذين يركضون بملابس رياضية إذا أحبّوا أن يلتقطوا أنفاسهم، وبعض الذين يصحبون كلابهم الصغيرة في قضاء بعض الوقت، تجلس عليه وحيدة و تراقب الشاعر المليء بالمارّة و العابرين، نشرب القهوة و ندخّن سيجارتها، و تنفث بخار الماء الفائض الذي يثقل الجوّ»[1].

حيث و أنّها في وسط ذلك الضجيج، و في ذلك الشارع المليء بالناس و هم يمارسون حياتهم بكلّ بساطة و في حالة جدّ عاديّة، نجدها تجلس وحيدة فقط تشاهد هذه المشاهد من بعيد دون أن تشارك أحدهم –حتى ابنها– لأنّها تعيش عالمها الخاص المخالف عن عالمهم الواقعي.

و هو ما يجعلها ترى العالم بعين الغريب و تشعر بالدّونيّة و الانفصال عن الآخر.

ممّا جعل هذا الاغتراب بالنسبة "لهند" منفى و ليس موطن جديد تطمح فيه لتحقيق آمالها و أحلامها « فهو منفى إجباري – اختياري في إقامتها رغما عنها وولدها في هذا المكان الغريب، و إجباري فيما فرضته على نفسها من محاولات سلام نفسي – روحي على حساب هويتها»[2]، و بذلك فهو و إن لم تنجح في الوصول إلى سلامها الداخلي المنشود من خلال ما عاشته في غربتها من وحدة، عجز لغوي و فراغ عاطفي، إلاّ أنّها كانت تأمل في تحقيق شيء إيجابي على الأقل لابنها و هو أن يحقق لنفسه هوية حضارية متوازنة.

1– ميرال الطحاوي، بروكلين هايتس، ص 109.

2– عادل القاضي: الهجرة و الاغتراب، تأسيس فقهي لمشكلة اللجوء والهجرة، مؤسسة المعارف للمطبوعات، بيروت، ط1، 1999، ص 174. ص174.

ثالثا: الاغتراب اللغوي:

الاغتراب اللّغوي و الذي يعني عند "فروم" أنّ «اللّغة تصبح مغتربة عندما نقع تحت وهم أنّ نطق الكلمة يساوي الشعور بها»[1]، أو أن تعجز اللّغة عن آداء وظيفتها. هذا ما حدث لـ"هند" عندما وجدت نفسها عاجزة عن التواصل مع الغير في (وطن الغربة)، إذ كثيرا ما تجد نفسها غير قادرة على إيصال أفكارها أو حتى فهم أفكار الآخرين الذين يحادثونها، فتقع في إحراج و هي تصرّح مباشرة بأنّها تعاني مشكلة عويصة في التواصل و يظهر ذلك في عبارتها الآتية:« أشعر بخجل كلّما كان عليّ أن أتكلم بالانجليزية حتى الكلمات الصحيحة التي تعلّمتها، عادة ما أنطقها بطريقة تجعل الآخرين لا يفهمون ما أقول أذهب دائما إلى أماكن المثقفين، و أدّعي أنّني واحدة منهم لا افهم تماما ما يتحدثون عنه أجلس على المقعد البعيد كي لا يسألني أحد، ولا أجد نفسي مضطرّة لقول شيء، أشعر أنّ عبارة "لا تؤاخذيني، ماذا تقولين؟" التي أسمعها طوال الوقت، صارت تجلدني، وأنّ لديّ مشكلة مزمنة مع التواصل».[2]

و هي لا تشعر بالاغتراب عندما تتعامل مع غيرها فقط، و إنما كثيرا ما تشعر أنّ ابنها الوحيد، يتحدث أو ينطق بجمل غريبة عنها لا تفهم معناها، ممّا يجعلها تصمت أحيانا، و أحيانا أخرى تستفسر عنها من ابنها، فيوضح أنّ هذه الكلمة تعني كذا أو كذا... نلمس هذا في «ثم أفلت من يدها إلى الدّكان المجاور لرصيف البيت، واندفع حيث البائع – الذي اكتشفا بعد ذلك أنّه من أصل يمني– و قال له باختصار و سرعة أذهلتها: (راوند روستد كريمي تشيز بيجل، و سموزي سترو بري كرامبري جوس) بدا لها الطلب طويلا عريضا كفلات بوش؛ أخذ منها وقتا طويلا لتأمّل مفرداته، تعثّرت كالعادة في فهم ما طلبه، و تعثرت في عدّ النقود الفضيّة التي لا تعرف قيمتها حتى الآن، و تعثرت في إيجاد كلمات مناسبة

1 – وائل النجمي: الامبريالية الناعمة والهوية المنشطرة، قراءة في رواية بروكلين هايتس لميرال الطحاوي، www.alketab.com/ 19 /4 /2016

2– ميرال الطحاوي، بروكلين هايتس،ص23.

تدعوه إلى التعقل في قراراته الشرائية، و وعظه بحكمة التشاور في ما بينهما قبل طلب الأشياء، لكن قبل أن تبدأ موعظتها بقولها: (يا حبيبي لماذا لا تسألني أولا؟ افترض أنّ ماما ليس معها نقود كافية)، ردّ بحنق: (ماما... أنا طلبت سندويتش جبن و كوب عصير... يعني أنا طلبت إيه يعني؟) »[1].

و تعبّر عن دهشتها الدائمة في تأمل صامت عندما ينطق ابنها بعبارات تجهلها وتجهل مصدر تعلّمه لها.

و يمكن أن نستخلص ذلك في العبارة: « وكالعادة تركته يتهور في وصف طلباته التي لم تعد تدهشها اكتفت بتأمله و هو ينطقها بسرعة وسلاسة، وبخبرة لا تعرف من أين اكتسبها... (فيجي مشروم زوكيني نولدز) »[2]، و اكتفت بهزّ رأسها تأكيدا لطلبه.

فكانت هند تعمل على تشكّل الشخصية الناشئة عند ابنها، فهي غالبا لا تحاول مجادلته، ومع الوقت عندما احتاجت لذلك بدأت اللّغة تقف عائقا بينهما، بدأ يلوح أنّ التواصل بينهما ينقطع « و برغم إنّها صارت تحذّره كل ليلة من العابرين والجيران و الغرباء و زملاء المدرسة الأكبر سنا، و اشتباكات الكرة، صارت تقول له إنّه رجل صغير، وتحاول أن تشرح له مختصرا للرجولة هو ألاّ يقترب من رجل آخر بمحبة أو عنف، وتصمت غير قادرة على حسم إن كان يفهمها أم لا، فقط يقول لها:fine»[3]، و هي حالات استخلصنا منها ذلك الاغتراب اللّغوي الذي جعلها تعيش نوع من عدم القدرة على التواصل والتخاطب ومن ثمة العجز عن العيش في بيئة تحمل لها غربة اجتماعية و خاصة في لغتها.

1- ميرال الطحاوي، بروكلين هايتس،ص 23.

2- المصدر نفسه، ص 10.

3- المصدر نفسه، ص132.

الفصل الثاني :

تجليات الاغتراب في الرواية

المبحث الأول : مظاهر الاغتراب في المتن السردي للرواية.

المبحث الثاني : استراتجية الزمكنة.

تحتوي الرّواية على عناصر سردية تنتظم وفق نسق معين، يتماسك ليشكّل لها نسيجا متكاملا يفضي بفضل خصوصياته الفنيّة و الفكرية إلى تحديد العديد من الظواهر الخارجية، فتمتلك البنية الروائية بذلك منطلقا دلاليا يقوم على أساليب و تقنيات لمعالجة أدق مظاهر الحياة سواء من الناحية الواقعية أو الخيالية.

المبحث الأوّل: مظاهر الاغتراب في المتن السردي للرواية:

1.الاغتراب من خلال الحوار:

للحوار أهمية بنائية في الرواية فهو مطلب إنساني، بحيث يتم استخدام أساليب الحوار البنّاء لتحقيق التواصل و الاندماج مع أفراد المجتمع، و الحوار هو«أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر عن طريق السؤال و الجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معيّن، وقد يصلان إلى نتيجة و قد لا يقنع أحدهما الآخر ولكنّ السامع يأخذ العبرة و يكوّن لنفسه موقفا»[1]، حيث لا يتصف الحوار بالخصومة و التعصّب للرأي وإنّما هو عملية إقناعية لا يهدف إلى إفحام الخصم أو حدوث نزاع بين الأطراف المتجاورة و «يعتمد الحوار على تعدّد الشخصيات حيث يظهر أكثر من صوت أو أكثر من شخصية متحدّثة في الرواية، ويتجسّد الحوار من خلال الكلام الملفوظ المتبادل بن شخصيات الرواية، كما أنّه عملية صعبة تتحوّل من خلالها الفكرة إلى جزء فاعل له صيغة عمل داخلية نابعة من إجراءات الحدث و تفاصيله »[2].

و في هذه الرواية تعمد "هند" إلى إجراء عدة حوارات و مع شخصيات مختلفة فكريا وثقافيا بدءا من ابنها الصغير إلى أصدقائها المختلفين كصاحب المقهى، الجار، مدرس الرقص، الطبيبة، عبد الكريم الكردي... و شخصيات أخرى تلتقي بها يوميا.

1- عبد الرحمان النحلاوي: أصول التربية الأسس و أساليبها ، دار قتيبة ، دمشق، ط 2، 1999، ص20.

2- عبد السلام فاتح: الحوار القصصي تقنياته و علاقاته بالسرد، المؤسسة العربية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، ط 1، 1999، ص 29.

و إذا كان الحوار يبرز من خلال تبادل الأفكار و أطروحات للنقاش عن طريق السؤال و الجواب فإنّ «عمله الحقيقي هو رفع الحجب عن عواطف الشخصية وأحاسيسها المختلفة، و شعورها الباطن اتجاه الحوادث أو الشخصيات الأخرى، وهو عادة ما يسمى بالبوح أو الاعتراف»[1]، و هذا مانجده ماثلا في هذا الحوار بين هند و ابنها، حيث يباغتها بأسئلة:

- ماما أنت لم تصففي شعرك؟
- يعني؟
- أنت شكلك أصبح غريبا يا ماما. لماذا توقفت عن وضع مكياج على وجهك منذ أن جئنا؟
- ربّما لأنّه ليس لدي وقت... ربّما
- ماما، أنت فقط لا تهتمين بنفسك
- ربّما، المهم أنني مازلت اهتم بك، عملت إيه النهر ده؟
- عملنا مظاهر و كتبنا change و امتنعنا عن الأكل، و أنت كمان لازم تغيّري يا ماما...
- أزاي؟
- يعني شعرك، شكلك، وكده...
- يعني ماما خلاص مش عاجباك؟
- لا يا ماما، لكن أنت لازم تغيّري ...أنت طول الوقت حزينة، و سادsad .
- لكن لو حدّ سألك من أصحابك: ممكن نعمل"ديت"؟ قولي: لا.
- و أنا مش عايزك تحبي حد ثاني...
- حاضر أنا ح أفضل أحبّك على طول[2] ...

إنّ القارئ لهذا الحوار يدرك مدى ما يحمله من عواطف متداخلة توحي بالحب الحقيقي الذي يكنّه الابن لأمه، و الذي يترتب عليه خوفه من أن تستبدله برجل آخر تتزوجه.

---

[1]- نجم محمد يوسف، فن القصة، دار صادر، بيروت، ط1، 1996، ص 96، 97.

[2]- ميرال الطحاوي، بروكلين هايتس،ص 27،28.

و هذا النوع من الحوار يجسّد شعور الابن بغرابة أمّه "هند" عن البيئة الجديدة التي يجب أن تتأقلم معها من حيث الشكل و الهيئة و أنها من الضروري أن تغيّر.

و هو يحاول إقناعها بوجهة نظره، ذلك لأنّ الابن يمثل انعكاس للبيئة المعاصرة التي يعيش فيها على خلاف أمه هند التي يرى فيها بأنها ما تزال تحافظ على ملامحها التقليدية الغريبة عنه و عن مجتمعه.

و في هذا الحوار يتضح نوع من الاغتراب الاجتماعي الذي يربط بين الأم و الابن، وفي الرواية مقاطع حوارية أخرى ساهمت في إثراء الإحداث و نموّها بصورة منطقية طبيعيّة، و إذا تأمّلنا مقطعا حواريا آخر ينمّ أيضا عن ذلك الخلاف القائم بين "هند" وولدها حول الكثير من الأفكار والتوجهات، إذ كثيرا ما تدعوه لمرافقتها لحيّ العرب، تحت وقع الحنين لكنّه غالبا ما كان يرفض ذلك بشدة، واعتباره مكانا غير لائق، يتضح ذلك فيما يلي:

- لاأحب أن اذهب عند العرب
- لماذا؟
- البيرج مش نظيف، و كمان فالجر(vulger). و أنا لا أريد أن أكون واحدا منهم.
- لماذا تحبين البيرج.[1]
- ربما يذكرني بمصر
- لكن أنا لا أحب البيرج، و لا أريد أن أرجع مصر تاني.[2]

و هذا الشكل الحواري يكشف عن عمق الصراع الداخلي بين الشخصيات في الرواية، و الذي يحمل نوع من الاغتراب السيكولوجي و الإيديولوجي النابع من اختلاف وجهات النظر، وتباعد أنماط و أساليب التربية بين الأم والابن، و هذا المعنى الصراعي للحوارية نجده عند "باختين" في أنّ « الحوارية تقرّ بوجود أكثر من وعي داخل الرواية و تجعل

1- ميرال الطحاوي، بروكلين هايتس، ص 47.

2- المصدر نفسه، ص47.

الروائي يدخل في الحوار مع أنماط متعارضة في الوعي الإنساني بأبعاده الفكرية والإيديولوجية»[1]، وبذلك لا تقتصر وظيفة الحوار على التعبير السطحي عن المواقف و تحقيق التواصل، بل تصبح «الحوارية وسيلة لاستجلاء وعمق الأشياء و الغوص في أعماق الوجود و مظاهر الصراع»[2].

و في مقطع حواري آخر يجمع بين "هند" و صديقها في المقهى يناقشان–كالعادة– مواضيع تعكس اهتمامات المغتربين، كصيرورة الحياة معهم، و نظرتهم المستقبلية لمصيرهم...

فإذا كان الاغتراب يشمل جميع الجوانب النفسية و الاجتماعية و الفكرية للإنسان، فإنّه يصبح دائم الانشغال بمستقبل مجهول، إذ تغلب عنه النظرة التشاؤمية والشعور الدائم والميل في التفكير بالموت وعدم الرغبة في الحياة، و تعليق الآمال على أبسط الأشياء التي قد يرى فيها نوع من الخلاص. هذا ما نجده متجسدا في الحوار التالي: « وهو يسألها الأسئلة التي سئمت منها:

– ما أخبار الحياة؟

– ما خلاص خلصت

– لسه بدري... أنت لن تموتي...

– و أين سأذهب في النهاية...؟

– لا أعرف؟ يا ريت كنّا نعرف أين سنذهب في النهاية، كنّا ارتحنا

– يصمتان لأنّ سيرة الموت ثقيلة و معذّبة»[3].

1– ميخائيل باختين: الكلمة في الرواية، تر: يوسف حلاق، وزارة الثقافة، دمشق، 1988، ص 52– 54

2– برادة محمد: أسئلة الرواية– أسئلة النقد، شركة الرابطة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1996، ص 80.

3– ميرال الطحاوي، بروكلين هايتس، ص 172.

و كما سبق القول، فإنّ هذا المقطع الحواري يغلب عليه الحزن و الكآبة والقلق وهي حالة كل إنسان مغترب عن وطنه الأم.

و في السياق ذاته، نجد تكملة للحوار السابق الذي يعكس اهتمامات جديدة للإنسان المغترب، إذ أنّ الشعور بالاغتراب و بالوحدة يجعله يغيّر ميولاته و رغباته إلى أشياء أخرى يتمناها في أعماقه النفسية، خاصة إذا ما امتزج شعوره بالخوف و التوتر الملازمتين "فهند" اكتشفت أنّها تفاوض باستمرار البائعين عند شراء حاجياتها، تخاف حتى من انتهاء السجائر و تحافظ عليها، تصلي أحيانا لأنها تخاف الوحدة، و أصبحت تؤمن فجأة بالأبراج الفلكية وبما تحمله من توقّعات مستقبلية.

وفي هذا المقطع الحواري تحادث صديقها عن الأبراج و تقول له:« صورتُ لك برجك... كلّ سنة و أنت طيّب.

– بيقول إيه برجي؟ بحب اسمعه و أنت بتقريه.

– يقول أنّ جوبتر في برج الجدي هذا العام، جوبتر كوكب الحظ المطلق. سنة استثنائية يا عزيزي الجدي، تمسك فيها التراب فيتحوّل إلى ذهب، تدعمك الكواكب مجتمعة، ولا تجد شهرا إلاّ و يحمل لك الخيرات، و تنفتح أمامك آفاق جديدة ووعود كثيرة، سنة استثنائية تحصد فيها الشهرة و التعاطف و تقوّي جاذبيتك التي تسيطر بها على القلوب.

– هل تصدقين حقيقة؟

– أحيانا أحتاج أن أصدّق.

– و أنت ماذا يقول برجك؟

– عزيزي السرطان أنت على سفر.

– أنت دائما على سفر !... دائما ما تحملين حقيبتك على قلبك، حتى وأنت جالسة، كأنك على موعد . أنت كلك قلق، ولا تجلسين في مكان واحد أكثر من عدة دقائق...»[1].

1– ميرال الطحاوي، بروكلين هايتس، ص 175– 176.

و يكشف هذا الحوار نوعا من الاغتراب النفسي و تغيير نمط التفكير الذي يفرضه المجتمع الجديد على الإنسان المغترب، إذ يصبح يشعر بفقد مقومات شخصيته الحقيقية وعدم الإحساس بالاكتمال و بالوجود الفعلي، خاصة و أن الاغتراب هو«الحالة التي يتعرّض فيها جوهر الشخصية للقسر والإكراه، فعندما تتعرّض الشخصية الإنسانية في جوهرها العقلي، أو الثقافي أو الاجتماعي لنوع من التشويه والاغتصاب تحدث عملية اغتراب»[1].

و للحوار في هذه الرواية –حسب اعتقادي– مميّزات يمكن استخلاصها فيما يلي:

لغة الحوار تغلب عليها العامّية، على الرغم من أنّ الكاتبة تمزج في لغتها بين اللغة الفصحى واللّغة العاميّة إلاّ أنّ ما يغلب على المقاطع الحوارية هي اللّغة العاميّة، لكون الحوار يدور بين شخصيات متفاوتة من حيث درجة الثقافة و العلم و المستوى العمري، ابنها، صاحب المقهى، صديقها، الطبيبة....

و أنّه على الرّغم من اعتماد الساردة على الأسلوب الحواري و أنّ الرواية ككل تجسد معنى الاغتراب بشتى أنواعه و أنماطه، إلاّ أنّ مقاطع الحوار لم تكن كلّها تجسد نمط معيّن من الاغتراب، بل كان القليل منها فقط الذي يحمل هذه الميزة، و هو ما حاولنا استخراجه من الرواية.

1– وطفة علي: المظاهر الاغترابية في الشخصيّة العربيّة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، العدد2، 1998، ص 247.

2. الاغتراب من خلال الوصف:

يعدّ الوصف من التقنيات السردية التي يتوقف عليها وصف الأحداث، الأماكن والشخصيات في الرواية حيث أنّ الوصف في الرواية « لا ينقل الأشكال و الألوان كما تراها العين ، بل ينقلها وفق منظور نفسي، فنّي، جمالي يخدم الرّواية، و من خلال اللّغة و بشكل يساعد على خلق فضاء تتحرّك فيه الشخصيات و يعبّر عن طبعها و مزاجها و أفكارها، ويكون المكان جزءا من بنيتها الكلية»[1].

حيث يمكن لهذا الوصف أن ينقل مشهدا حقيقيا أو خياليا لأحياء أو لأشياء أو لأمكنة بتصوير داخلي أو خارجي، و هذا ما نجده في وصف "هند" لمنطقة "بروكلين هايتس" في نيويورك عندما كانت تبحث عن غرفة واحدة للإيجار حيث تراه «حارة ضيقة مليئة بالالتواءات، تراه يتعامد على"بروكلين بريدج" ذلك الجسر الممتد الطويل الذي يربط الجزيرتين، يعبر على الجسر المشاة والعربات الأنيقة والسيّاح الذين يتأملون من فوق الجسر غروب الشمس، وحدود "منهاتن" التي تبدو من فوقه كعكة مليئة بالشموع، تفاحة مستديرة ومشتهاة بأبراجها المضاءة، و من بين كل الشوارع تختار "فلات بوش"»[2].

كما تدقّق في وصف "فلات بوش" بأنّ« موقعها يتعامد مع الأفنيو السابع، وأنّها تجاور الحديقة الكبيرة من عدة جهات، وأنها تقع في قلب منطقة قديمة في "بروكلين" تسمى "بارك سلوب"...تسير في فلات بوش الممتد من الجسر غربا حتى حدود بروكلين الشرقية، يمتد الشارع طويلا عريضا، يشهد عدّة فتحات طولية تقتحمه وتتعامد معه و تتقاطع حاملة أسماء وأرقاما مختلفة»[3]، وهنا تتعمّق "هند" في وصف المكان و المحيط الذي ستعيش فيه مع

1- بايزيد فاطمة الزهراء، رواية مسك الغزال لحنان الشيخ، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر،2007، 2008، ص99.

2-ميرال الطحاوي، بروكلين هايتس، ص 07.

3- المصدر نفسه، ص07.

ابنها، خاصة وأنّها تبحث عن مكان ملائم لحالتها النفسية والاجتماعية، فهي لا تكتفي بالوصف الخارجي للمنطقة، بل تعمد إلى وصف البيت الذي استأجرته من الداخل فتقول: «أنّه مجرّد علبة كبريت لها نافذة على الشارع»[1]. و هو وصف يعبّر عن هيئة منزلها الجديد الذي يتوسّط حي بروكلين الفقير في نيويورك والذي يسكنه الكثير من العرب بمختلف جنسياتهم، كصاحب الدكان الذي يبيع الفلافل (مستر فلافل).

و بهذا، فإنّ الوصف يساهم في منح المكان والأشياء و الشخصيات أبعادها الخارجية، و مظاهرها التي تريد الكاتبة بيانها بوضوح؛ أي أنّه يمنحها أبعادها الجمالية والنفسية والفكرية.[2]

كما تصف"هند" "متحف بوش" القريب من بيتها في أنّه «يضمّ حديقة واسعة متصلة بالحديقة العامة، مضخة المياه الجوفية، غرفة الشاي، و غرف النوم العلوية، المدفأة، والجدار المرصّع بلوحات السيد "بوش" وأولاده... في المتحف عدّة لوحات لبروكلين القديمة حين كانت جزيرة مليئة بالمزارعين، ومحطة من محطات السفن التي تبحث عن خليج ترسو فيه...»[3].

و هنا يحقق الوصف وظيفته التقليدية المتمثلة في الشكل الجمالي الزخرفي، إذ عمدت "هند" إلى رسم لوحة جمالية فنية لوصف "متحف بوش"، لكي تضع القارئ في الإطار المكاني المتواجد به.

و في وصفها لزمن الليل في هذا الشارع الذي تسكن به تقول: «في الليل تسمع من تلك المنطقة ضجيج الانفجارات النارية و البالونات و صياحا مليئا بالحماسة المباغتة، وصوت هتاف عميق يهزّ "فلات بوش" و يوقظه، فتح الكثيرون نوافذهم وراقبوا الألعاب

1- ميرال الطحاوي، بروكلين هايتس، ص11.

2- سالم الحسيني: الوصف الروائي، منتدى شظايا أدبية 25/04/2016/ www.shathaaya.com

3- المصدر نفسه، ص 13.

النارية، و بالونات طائرة، تحمل صورة "أوباما" تطلقها منطقة "الردهوك" التي لم يعرف أهلها النوم»[1].

و في هذا الوصف تصف "هند" ليل "فلات بوش" بأنّه ليل لا يعرف الهدوء و السكون، و أنّ أصحابه مهووسون بالتغيير و مفعمون بالحيويّة والنشاط.

« و هكذا نجد أنّ رواية "بروكلين هايتس" لا تخلو من الجانب الوصفي السردي، الذي يعدّ من أهمّ التقنيات السرديّة في الرّواية ذلك أنّ الوصف يُضفي جمالية على النصوص السرديّة، حيث يهدف إلى إيهام القارئ بأنّ ما يقرأه حقيقة و ليس خيال»[2].

و في الرواية شخصيات عديدة لعبت دورا مهما في حياة "هند" سواء في وطنها "مصر" أو في غربتها "بروكلين"، و قد وصفت إحدى هذه الشخصيات المحورية في مراحل حياتها وهي "الجدّة زينب" تقول بأنّها:« سمراء، لكنّها إذا واجهت فرن الخبز البلدي يصبح لونها في لون الخبز المقدّد... في صوتها تلك اللّكنة البحراوية التي تميّز الغرباء ...أعلى جبهتها وشم على هيئة سمكة خضراء، وأخرى بلاستيكية مدلاّة بخيط على قبّة صدرها، و على معصمها عدد من السمكات الخضراء أيضا، فتحة منخارها مشقوقة من أثر (شناف)، كان يزيّن أنفها ذات يوم، شرم فتحة الأنف و نزل تاركا هذا الشق الطولي، الجدة زينب شعرها غزل البنات أبيض وأنهكته الأيّام»[3].

و لم تكتف "هند" بوصف ملامح الجدة زينب–التي لم تكن جدتها الحقيقية– وإنّما وصفت جملة الأعمال والأفعال اليوميّة و الأسبوعية التي كانت تقوم بها عند زيارتها ولأهل بلدتها من جيران « فوظيفتها الأسبوعية فقط هي صنع الخبز... لكنّها كانت تأتي أيضا كل جمعة لترش الرشوش، و تنثر الماء والملح في أرجاء البيت، وهي تحوقل من أعين

1– ميرال الطحاوي، بروكلين هايتس، ص14.

2– سالم الحسيني: الوصف الروائي، منتدى شظايا أدبية.

3– ميرال الطحاوي، بروكلين هايتس ، ص 69–70.

الحاسدين، وتعدّ بعض أبرمة الحمام و الأرز المعمّر في المواسم المعروفة كعاشوراء، والرجبيّة وأوّل شعبان... و كثيرا ما تعبر على بيوت كثيرة لتقوم بالأعمال نفسها: الاعتناء بالولادات، وربط سرة الرضّع، معالجة الأوجاع بمساحيق زيتية من الكافورة و اللّبخة، ودهن بذرة الكتان بيد مدرّبة سريعة و خبيرة »[1].

و في الرّواية تتذكر "هند" دائما والدها و تصفه بأنّه «كان وسيما وأنيقا، يرتدي بدلات أنيقة مكتملة...صوره أيضا في الألبوم أمام مدرّج كلية الحقوق جامعة فؤاد الأوّل أنيقا وسيما»[2]، كما أخبرتها الجدّة زينب أنّ وسامة أبيها كانت محلّ إعجاب بنات الجيران لدرجة أنّهم يقولون فيه شعرا « أبوك كان غاوي الله يرحمه بقى كان يمشي في العلواية و البنات يغنّوا من ورا الشبابيك "من تحت شباكنا هو الحليوة اللّي فات »[3].

و بهذا فإنّ الروائي حين يلجأ للوصف يبذل قصارى جهده للبرهنة على قدرته أن يجعل القارئ يرى الأشياء أكثر وضوحا، ذلك أنّ الوصف هو«ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات »[4].

فالوصف إذن، يقدّم الأشياء و الأماكن و الشخصيات في صور أمينة تحرص على نقل الخارج بأدقّ تفاصيل النقل، خاصة وأنّ الوصف تستعمل فيه الكثير من الصيغ الانفعالية من مبالغة، مدح، تمني...

1-ميرال الطحاوي، بروكلين هايتس ، ص 68-69.

2- المصدر نفسه، ص77.

3- المصدر نفسه، ص77.

4علي الحمادي: بحث الاغتراب، منتديات الشروق، 2016 /04 /24/ www. echoroukonline.com

المبحث الثاني: إستراتيجية الزمكنة:

أولا: علاقة المكان بالاغتراب:

تعدّ دراسة المكان كعنصر بنائي يساهم في تشييد الرواية ضرورية لكشف ومعرفة خصائص هذا الفن و ما يميّزها من روائي إلى آخر.

إذن نجد أنّ هناك من ربط مفهوم المكان بالوضع الاجتماعي الذي يعيشه الفرد على اعتبار أنّ المكان« هو المكان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه»[1]، و بهذا فإن المكان يلعب دورا هاما في تشكيل وعي الفرد وانتمائه لمكان معيّن.

لذا فان أهمّية المكوّن الروائي لا تتأتّى إلاّ من خلال دوره في النّص، و أنّ المكان له أهميّة كبيرة في بناء النص الروائي«لكونه أحد الركائز الأساسية التي يرتكز عليها العمل الأدبي، ولاسيما الرواية فهي تحتاج إلى مكان تدور فيه الأحداث، وتتحرّك من خلاله الشخصيات، و لا يهمّ إذا كان المكان حقيقيا أو خياليا من نسيج خيال الكاتب»[2].

كما تزيد أهميّة المكان في كونه عنصرا كباقي العناصر المكوّنة للرّواية فهو«كأيّة شخصية أخرى يجب أن يكون عاملا و فعالا و بنّاءً في الرواية، ومن هنا كان المكان يلعب في بعض الرّوايات الرّشيقة دور البطولة»[3].

بالإضافة إلى أنّ المكان ينظّم الأحداث في الرّواية، إذ يُحْدِث علاقة جدلية بين الحدث و المكان.

1- أسماء شاهين: جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، دار الفارس للنشرو التوزيع، الأردن، ط 1، 2001، ص 12.

2- المرجع نفسه، ص15.

3- شاكر النابلسي : جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر و التوزيع، الأردن، ط 1، 1994، ص 275.

و في هذه الرواية سنتناول المكان وفق ثنائيات ضديّة، وقد ورد معظمها مبني على الثنائيات الضدية (المفتوح و المغلق)، وهو إطار انتقال الشخصيات وهو ما سنبيّنه فيما يلي:

1.الأماكن المغلقة:

يكتسب المكان وجودا من خلال أبعاده الهندسيّة و الوظيفيّة التي يقوم بها، حيث يأتي الفضاء المغلق كنقيض للفضاء المفتوح، ويستعمل الرّوائيون هذه الأمكنة كإطار لأحداث رواياتهم وقصصهم، ومتحرّك لشخصياتهم. ولا تخلو رواية "بروكلين هايتس" من هذه الفضاءات المغلقة و أهمّها ما يلي:

أ. البيت:

لقد بيّن "باشلار" أنّ البيت « هو واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار، وذكريات وأحلام الإنسانية، ومبدأ هذا الدّمج و أساسه هما أحلام اليقظة، و يمنح الماضي و الحاضر و المستقبل، البيت ديناميّة مختلفة كثيرا تتداخل أو تتعارض... لهذا فبدون البيت يصبح الإنسان كئيبا مفتّتا، إنّ البيت يحفظه عبر عواصف السّماء و أهوال الأرض»[1]، و بهذا تصبح للبيت دلالات مهمّة في العمل الروائي.

و في هذه الرواية البيت الذي استأجرته "هند" في "فلات بوش" لم يكن كما تخيّلته وأرادته فقد كان« مجرّد علبة كبريت لها نافذة على الشارع»[2]، إذ لم يكن على مقاس أحلامها، و أحلام ابنها، فقد استغرقت وقتا طويلا لإقناعه بأنّها اختارت له أجمل البيوت في "بروكلين" على الإطلاق و "هند" داخل هذا البيت لم تستطع الهروب من ذكرياتها، إذا كان محفّزا لاسترجاعها، و مقارنته بالبيوت الأخرى التي عاشت فيها.

---

1 غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، بيروت، ط 2، 1984، ص 38.

2- ميرال الطحاوي، بروكلين هايتس، ص 11.

«تعرف أنّها الآن تعيش في بيت يحتضن الشوارع كلّها، فهو مثل علبة الكبريت الزجاجيّة يراها الناس و تراهم طوال الوقت... بيت تتأكّد فيه وحدتها وقدرتها على الهرب»[1] هذا البيت الذي تتمنّى أن يكون بديلا لذاكرتها التي صارت كثيرا ما تهرب منها.

ب. المتحف:

و من الأماكن الأثرية الراقية، يوجد في الشارع الذي به بيت "هند"، ومتحف "بوش"؛ نسبة إلى "بوش" مالك الفيلاّت و الشارع ككلّ سابقا. المتحف هو بيت قديم «يضم حديقة واسعة متّصلة بالحديقة العامة، مضخّة المياه الجوفية، غرفة الشاي و غرف النوم العلويّة، المدفأة و الجدران المرصّعة بلوحات السيد وأولاده... في المتحف عدة لوحات لـ بروكلين القديمة»[2].

و بهذا فقد كان هذا المتحف آثارا تحكي تاريخ منطقة "بروكلين" و كل من عبرها حين كانت جزيرة مليئة بالمزارع، ومحطّة من محطّات السفن، يزوره اللاجئون للإطلاع على تاريخ المكان.

ج. المقبرة:

المقبرة هو ذلك المكان الذي اعتادت "هند" أن ترتاده، فهي كثيرا ما تحبّ أن تسير بجانبه صباحا «تلك المقبرة الكبيرة التي تسكن ربوة عالية تذكّرها بتلال فرعون. تحبّ أن تسير في تعاريجها صباحا، لأنّها مليئة بالرّموز و الصّمت الذي لم يعد يخيفها، تتسلّى بقراءة أسماء الموتى الراقدين تحت أضرحة الرّخام، تشعر ببهجة الموت والنسيان وسكينة العجائز»[3]، تعجب المقبرة "هند"لأنّها في غربتها تشعر دائما بالوحدة، وبقرب النهاية أو الموت، ممّا جعلها تجعل من المقبرة مكانا تدور فيه بعض أحداث الرواية.

1- ميرال الطحاوي، بروكلين هايتس، ص 11.

2- المصدر نفسه، ص13.

3- المصدر نفسه، ص49.

2.الأماكن المفتوحة:

الأماكن المفتوحة في عمومها تكون منفتحة على الطبيعة، تؤطّر للأحداث الرّوائية مكانيا، ويمكن استخراج هذا النوع من الأماكن في روايتنا هذه. كما يلي:

أ. الساحات و الشوارع:

يعدّ الشارع بوصفه نمطا من أنماط المكان «الشارع اليوم ليس مجرّد لفظ، بل إنّه لا يوشك على التحوّل إلى مفهوم معقّد ما تنفكّ معانيه و دلالته تتعاظم و وظائفه تتنوّع حتى لكأنّه خلاصة المدينة أو اختزال للمجتمع»[1].

و تصوّر "هند" في هذه الرّواية العديد من الشوارع « يتقاطع "فلات بوش" مع شوارع كثيرة، يتقاطع مع الأفنيو الخامس، ويتعانقان عند مفرقة البناية التي سكنت فيها»[2]، هذه الشوارع التي كثيرا ما تكون مسرحا للكثير من الأحداث والحركيات الشعبية، تعبّر عن أفراحهم و مشاكلهم ولاحتياجاتهم و طلباتهم...«في طريقها من بيتها إلى "باي ريدج" تعبُر كثيرا من الجيوب العرقيّة، تعبر أرض المكسيك ...على الأرصفة القريبة تشاهد العمّال يتحلّقون في مجموعات على الرّصيف المتّسع لتجمّعاتهم بانتظار عمل ما...تخاف من تجمّعاتهم التي تنذر بعراك محتمل بلا مبرّر، أو مناوشات مع المارة لأسباب تافهة».

هذه الأماكن التي تتغيّر وظيفتها عند ساكنيها من النهار-كما سبق الذكر- إلى وظيفة أخرى باللّيل، إذ تتحوّل إلى مرقص مثلا« و كثيرا منها يتحوّل في المساء إلى مدارس وساحات الرقص "الصلصا" و "التانجو"...الموسيقى و رائحة مواد دخانيّة تلعب في أروقة البيع و الشراء»[3].

1- عبد الصمد زايد: المكان في الرواية العربية الصورة و الدلالة، دار محمد علي للنشر، منوبة، تونس ، ط 1، 2003، ص90.

2- ميرال الطحاوي، بروكلين هايتس، ص 29.

3- المصدر نفسه، ص 31.

و منه، فإنّ هذه الشوارع و الساحات لعبت دورا مهما في بناء الأحداث و تحوّلها في الرّواية.

ب. المقهى:

تمثّل المقاهي مكانا مفضّلا عند كل وافد و مقيم، يقضي فيها أوقات راحته، ويلتقي بأصدقائه، و المقهى التي تتحدّث عنه "هند" في هذه الرّواية « ضيّق و مظلم و النارجيلة لها رائحة ماء عطن، ومع ذلك أسموه ألف ليلة و ليلة»[1]، يتجمّع في هذه المقهى الكثير من الوافدين الجدد، اللاّجئين من كلّ الجنسيات، و كلّما شاهدوا وافدا جديدا أمطروه أسئلة، وهذا ما حدث لـ"هند".

تجري في المقهى الكثير من الأحداث، كأن يلتفّ الحضور « حول مباراة كرة قدم على الشاشة، وتثير عددا من الألفاظ البذيئة، وتبادل الشتائم»[2].

كما لعبت المقهى في هذه الرواية دور الملجأ الذي يفرّ إليه البعض هروبا من المشاكل الأسريّة، كحالة "عبد الكريم" الأب الذي أراد تربية ابنته على بعض القيم الإسلامية، ولكنّها رفضت ذلك، حالُها حال من ولد و عاش في بيئة غريبة، إذ لم يجد "عبد الكريم" إلاّ "البيرج" أو المقهى كحاضن جديد له بعد هجره لمنزله «بعدها نزح نهائيا إلى "البيرج" ليجلس في المقهى و يتحدّث عن خطورة أن تربّي أطفالك في هذا الجحيم (الغرب)»[3].

إذن، في الرواية لم يعد المكان مجرّد رقعة جغرافية، بل اكتشف الدارسون جماليته الكامنة في الخبرة الإنسانية و تجارب الحياة، حيث نجد هذا التصوّر واضحا عند "باشلار" في قوله:« إنّ المكان ينجذب نحو الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا ذا أبعاده

1- ميرال الطحاوي، بروكلين هايتس، ص31.

2- المصدر نفسه، ص43.

3- المصدر نفسه، ص45.

الهندسية وحسب، فهو قد عاش فيه بشرا... إنّنا ننجذب إليه لأنّه يكشف الوجود في حدود تتّسم بالجمالية في كامل الصور»[1]. و هو في هذا يتحدّث عن المكان وعلاقته بالإنسان.

ثانيا: علاقة الزمان بالاغتراب:

يعتبر الزّمان عنصرا مهمّا في العملية السّردية، ذلك لأنّه الإطار الذي تجري فيه أحداث الرواية انطلاقا من لحظاته الثلاث: الماضي، الحاضر والمستقبل، إذ هناك ترابط وثيق بين شخصيات الرواية والأحداث التي تقع في فضائها الزّماني و المكاني، هذا ما يحتّم علينا دراسة الإستراتيجية الزمنية من خلال الاسترجاع و الاستباق اللذين يساهمان في بناء النّص الرّوائي.

1.الاسترجاع:

يرى حسن بحراوي أنّ «كل عودة للماضي تشكّل بالنسبة للسّرد استذكارا يقوم به لماضيه الخاص، و يُحيلنا من خلال أحداث سابقة عن النقطة التي وصلتها القصّة»[2]، حيث يجد القارئ من خلال الاسترجاع معلومات إضافية تعينه على فهم الأحداث.

و يعرّف عبد المالك مرتاض الزمان بأنّه:« موكل بالكائنات و منها الكائن الإنساني، يتقصّى مراحل حياته، ويولج في تفاصيلها بحيث لا يفوته منها شيء و لا يغيب عنه منها فتيل، كما نراه موكلا بالوجود نفسه»[3].

و في هذه الرواية كثيرا ما تستذكر "هند" محطات حياتها، فكانت دائمة الرجوع إلى الماضي، إلى بيتها القديم، شوارع مدينتها، أصدقائها في المدرسة، جيرانها، المناسبات

1- غاستون باشلار: جماليات المكان، ص67.

2- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي،الفضاء والزمن، الشخصية، المركز الثقافي العربي،بيروت، ط1 ،1990، ص121.

3- عبد المالك مرتاض: في نظريّة الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الآداب، الكويت، 1998، ص199.

والأعياد... وهذا كلّما عبرت في شوارع "بروكلين"، أو دغدغ حاضرها ماضيها، فلا تتوانى في مقارنتها ببعضها البعض في مخيّلتها.

و هذا ما نجده بيّنا في الاستذكار الآتي:« بيت أبيها لم يكن مثله شيء تسير هند في طفولتها، فترى البيوت من حولها مفتوحة على سراديب طويلة وحارات ضيّقة كلّها من الطين الداكن، البيوت حولها مفتوحة، ترى من خلال محطات سيرها كل تفاصيلها، جلسات العتاب و ضجّة الأطفال، و حصر السّمار البلاستيكيّة يتكدّس فوقها البشر»[1].

في ذاكرتها ذكريات عديدة من الصعب أن تحكيها لأحد، فهي تكتفي باسترجاعها لشحنها بالحنين و الرغبة في العودة إلى حياتها الماضية، خاصة إذا ما تعلّق الأمر بأمّها وأبيها، فستذكر بعض المواقف الخاصة مع أبيها أو حوارات بين والديها، فقد «جلس أبوها في مخيّلتها على الحصيرة في البلكون الشرقي المحاطة بأشجار الكافور و العبل... يدخل الأب غرفته متعكّزا على كتفها، كما يحب أن يفعل، تدلّك قدميه المتعبتين من الوقوف كلّ اليوم، كما يحبها أن تفعل»[2]. و بهذا فإنّ الاسترجاع أو الاستذكار يُعدّ كحركة سرديّة تُضفي حيويّة على الرّواية، وبناءً منسجما لها، في حركة متواصلة تسمح للسّارد التنقل في المجال الزمني من الحاضر إلى الماضي.

أي هو عبارة عن حركة ارتداديّة لسير الأحداث، يوقّف فيها الروائي عجلة السّرد من الأمام و يعود إلى الوراء لاستذكار ماض بعيد أو قريب[3]، و هو الذي يمنح الرواية الصبغة الجمالية و خلق عالم روائي خاص بالرّاوي.

و عليه نخلص إلى أنّ "هند" تلجأ إلى الماضي من ذاكرتها هروبا من واقعها المرير.

1- ميرال الطحاوي، بروكلين هايتس، ص33.

2- المصدر نفسه، ص ص98،99.

3- إبراهيم جنداري:المفارقات الزمنية في روايات غادة السّمان، منتديات ستار تايمز -www.startimez.com- 01/05/2016.

2-الاستباق:

يُعدّ الاستباق حركة سرديّة يعتمد عليها الراوي في سرد أحداث الرّواية إلى جانب الاسترجاع لكونهما متعلقان بالزمن. إذ يعمد السّارد إلى تجاوز الحاضر والتنبّؤ بأحداث مستقبلية قبل وقوعها «فإذا كان الاسترجاع عودة إلى الماضي، فالاستباق على النقيض من ذلك، هو القفز إلى المستقبل، وهو مخالفة لسير زمن السرد تقوم على تجاوز حاضر الحكاية و ذكر حدث لم يحن وقته بعد»[1].

فالاستباق كما يراه "حسن القصراوي" « مفارقة زمنية سردية تتجه إلى الأمام بعكس الاسترجاع، وذلك باستباق الحدث الرئيسي في السّرد بأحداث أوّليّة تمهّد للآتي، توحي للقارئ بالتنبؤ و استشراف ما يمكن حدوثه»[2].

و نلمس هذه الحركة الاستشرافية في الرواية عندما تخاف "هند" الموت و تتوقّع قربه منها، عندما تشعر بمرض يدبّ في جسمها، فقد« شعرت بأنّها وحيدة وخائفة، صدرها مازال يوجعها... تندفع بها العربة وحيدة في ممرات المستشفى»[3]، تخاف "هند" الموت لأنّها تملك تاريخ مرضي في العائلة، توفي أبوها بالقلب في سن الأربعين، كما توفيت أمّها أيضا بسرطان الثدي، حيث كان صدرها ينزل لبنا، وهي أيضا تمرّ بنفس الحالة، حيث أصبحت تتوقّع لنفسها المصير ذاته، إذ تقول للطبيبة « أنا أيضا صدري يوجعني، ولا يكفّ عن فصد اللّبن، وهي المرة الأولى التي أشعر فيها بهذا الخفقان أشعر به في كتفي»[4].

1- سهام علي السرور: الزمن في السرد سهيل إدريس، المجلة الثقافية الشهرية، عودة النّد،الأردن، العدد 87، 2013، ص 20.

2- مها حسن القصراوي: الزمن في الرواية الجزائرية الجديدة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 2001، ص120.

3- ميرال الطحاوي، بروكلين هايتس، ص 199.

4- المصدر نفسه، ص201.

و هي في هذه الحالة تستبق الموت و تتوقّع حدوثه في أيّ لحظة، تعيش أوقات مؤلمة مريرة، تفكّر –مع ذلك– في مستقبل ابنها وحيدا دونها، تخاف أن تتركه من بعدها، مثل ما تركتها أمّها وحيدة فجأة، فهي تمقت الموت الذي يفرّق بين الأحباب « تنخرط في بكاء مرّ تكره بلوتو والموت والولادة، تكره نفسها، تكره الموت الذي يزورها كثيرا هذه الأيّام، ويأخذ من تحب و ما تحب، تبكي بكاءً مرّا و ينتفض قلبها»[1].

كما توظّف الساردة الاستباق في موقع آخر حينما توقعت "هند"أو تأمّلت أن تقيم علاقة عاطفية مع سعيد–صديقها– الذي ارتاحت له واستلطفته، موقفة بذلك سردها للأحداث الحاضرة، بتوقع علاقة جديدة لهند مع سعيد «سعيد الذي ظنت على سبيل التخيّل أنّه يحبّها، و ابتهجت لتلك الفكرة، لأنّها تريد أن تتخيّل أنّ هناك من يحبّها»[2].

و بهذا فإنّ من أهمّ الفوائد التي تنتج عن استعمال الاستباق بالنسبة للرّاوي هو التطلّع إلى الأمام و محاولة كشف المجهول، ممّا يحقّق إثارة و متعة لدى القارئ.

1ميرال الطحاوي، بروكلين هايتس، ص202.

2– المصدر نفسه، ص95.

خاتمة

تطرّقنا في هذه الدراسة إلى أنّ الاغتراب كموضوع و مصطلح، تعرّض لكثير من الدراسات من طرف العلماء و النقاد و الأدباء، خاصة عند المثقف العربي الذي يعيش الاغتراب بأنواعه و صوره.

و في هذه الرواية "بروكلين هايتس" عمدت الروائية "ميرال الطحاوي" الكشف عن واقع المرأة العربية المغتربة عن وطنها جسدا، و ما تعانيه من اغتراب ثقافي، اجتماعي، لغوي وديني زاد من شعورها بالعزلة و الانفصال عن الذات، لاسيّما وأنّها غادرت وطنها هروبا من واقع مرير، ورغبة في تحقيق آمال وطموحات ظنّت للحظة ما أنّها ستصل إليها من موطن الهجرة.

كما أنّ الرّوائية استطاعت أن تستكشف عالم الغربة موضّحة تلك التجربة الاغترابية للمرأة العربية وانعكاسها على جميع نواحي حياتها النفسية والاجتماعية، وحتى الفكريّة، وما تحمله من آلام و معاناة.

و من جملة النتائج التي ارتأينا أن نتوّج بها هذه الدّراسة نذكر منها ما يلي:

- يُعدّ موضوع الاغتراب ذا أهميّة قصوى لما له من صلة بالوجود الإنساني في حدّ ذاته، مما جعله مادة خام للكثير من الدراسات الأدبية و الفلسفية.
- عمومية الاغتراب، لكونه حاضرا في كلّ الثقافات و المجتمعات، وإن لم يكن اغتراب الإنسان داخل وطنه و مجتمعه و بين أهله وأحبابه.
- تنوّع الاغتراب و تفرّع انعكاساته إلى الأشكال التالية: الفكري، الفلسفي، الثقافي، الاجتماعي، السياسي، اللغوي....
- "بروكلين هايتس"رواية تحاول الاقتراب من واقع المرأة العربية المثقفة، في بلاد الغربة، باكتشافها لوطن جديد بكلّ ما يحمله من عادات وثقافات ولغة غريبة.
- كشفت الروائية عن جملة من المعاناة التي تعيشها الشخصية الرئيسية في الرواية، ومدى تأثيرها على تفاصيل حياتها، و شعورها الدائم بالاغتراب الذي تترجمه عزلتها ووحدتها وتذكرها المستمر لحياتها الماضية.

- في ظل هذا الفضاء الروائي برزت مظاهر الاغتراب في المتن السردي للرّواية من خلال الحوار والوصف.
- يبرز في الرواية توظيف الأمكنة المغلقة والمفتوحة، وإعطاء كلّ نوع من هذه الأمكنة صيغة جمالية في السّرد الروائي.
- إستراتيجية الزمكنة (الزمان و المكان) توحي بوعي الروائية و حسّها الجمالي.

وفي الأخير، ومن خلال هذه النتائج المتوصل إليها، نأمل أنّنا قد لمسنا بعض من جوانب هذه الدراسة في عالم الرواية، تاركين المجال إلى دراسات أخرى موسّعة، وآفاق مفتوحة على البحث العلمي.

المصادر

و

المراجع

أ. المصادر:

1.ميرال الطحاوي: بروكلين هايتس، دار الآداب للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 2010.

ب.المراجع بالعربية:

2.ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين(بين منازل إيّاك نعبد و إيّاك نستعين)، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2006.

3.ابن عربي: الفتوحات المكيّة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط 1، 1999.

4.أبو حيّان التوحيدي: الإشارات الإلهيّة، تح: عبد الرحمان بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان، ط 1، 1981.

5.أحمد حيدوش: الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون، الجزائر.

6.أحمد علي الفلاحي: الاغتراب في الشعر العربي، في القرن السابع هجري (دراسة اجتماعية نفسيّة)، دار غيداء للنشر و التوزيع ، عمان، ط1، 2013.

7.أسماء شاهين: جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، دار الفارس للنشرو التوزيع، الأردن، ط 1، 2001.

8.إلياس فرج: تطوّر الإيديولوجية العربية الثورية، الفكر القومي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، ط 7، 1979.

9.إمام عبد الفتاح إمام: دراسات هيغليّة، دار الثقافة للنّشر و التوزيع، القاهرة، مصر، 1985.

10. برادة محمد: أسئلة الرواية– أسئلة النقد، شركة الرابطة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1996.

11. حسن الحماد: الإنسان المغترب عند إيريك فروم، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، مصر، 2005.

12. حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، الفضاء والزمن، الشخصية، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء،المغرب، ط1 ،1990.

13. حسن حنفي: في الفكر الغربي المعاصر، المؤسسة الجامعية للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط 4، .1990

14. حسن عبد الحميد أحمد رشوان: الأدب و المجتمع، دراسة في علم اجتماع الأدب، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، ط 1، 2004/ 2005.

15.حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الإنسان بين الحلم و الواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، .2006

16.خالد حامد: المدخل إلى علم الاجتماع، جسور للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2008،1.

17. رمضان حينوني: الاغتراب في شعر محمد الماغوط، دار الأيّام، عمّان، الأردن، ط1، 2015.

18. زينب محمود شقير: مقياس الاغتراب النفسي، مكوّناته ومظاهره، مكتبة النهضة المصرية، ، القاهرة، مصر، ط1، 2002.

19.سليمان حسين: مضمرات النص و الخطاب في عالم جبرا إبراهيم جبرا، منشورات اتحاد كتاب العرب،دمشق سوريا،(د ط)، 1999.

20.سهير عبد السلام: مفهوم الاغتراب عند هربرت ماركيوز، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، مصر، 2003.

21. شاكر النابلسي : جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر و التوزيع، الأردن، ط 1، 1994.

22. الشيخ محمد الشيخ: التحليل الفاعلي، نحو نظرية حول الإنسان، دائرة الثقافة و الإعلام، الشارقة، الإمارات، ط 1، 2001.

23. عبد الحق منصف : أبعاد التجربة الصوفية (الحب، الإنصات، الحكاية)، إفريقيا الشرق، المغرب، 2007.

24. عبد الرحمان النحلاوي: أصول التربية الأسس و أساليبها ، دار قتيبة ، دمشق، ط 2، 1999.

25. عبد السلام فاتح: الحوار القصصي تقنياته وعلاقاته بالسرد، المؤسسة العربية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، ط 1، 1999.

26. عبد الصمد زايد: المكان في الرواية العربية الصورة و الدلالة، دار محمد علي للنشر، منوبة، تونس، ط 1، 2003.

27. عبد القادر زيدان: الغربة و التمرّد في الشعر الجاهلي، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، مصر، ط 1، 2003.

28. عبد المالك مرتاض: في نظريّة الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الآداب، الكويت، 1998.

29. علي شتا: الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية، مكتبة الإشعاع الفنّية، مصر،(د، ط)، 1997.

30. عمر بوقرة: الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث (1945- 1962)، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، (د، ط)، (د، ت).

31. فيصل عباس: الاغتراب الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، دار المنهل اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

32. ماجد قاروط المعذّب في الشعر العربي الحديث في سوريا و لبنان من عام 1945 إلى 1985، دراسات جمالية، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، 1999.

33. مجاهد عبد المنعم مجاهد: جدل الجمال و الاغتراب، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر.

34. محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر، مرحلة الرّواد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1999.

35.محمد زكي العشماوي: دراسات في النقد الأدبي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 2008.

36. محمد عباس يوسف: الاغتراب و الإبداع الفني، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة،2004.

37. محمود رجب: الاغتراب سيرة و مصطلح، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 4، 1993.

38. مسلم بن الحجاج: الجامع الصحيح، دار الجيل، بيروت، لبنان، كتاب الالهام، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا و سيعود غريبا، رقم الحديث 146، (د، ط)، (د، ت).

39. مها حسن القصراوي: الزمن في الرواية الجزائرية الجديدة، منشورات اتحاد الكتاب الغرب، دمشق، ط1، 2001.

40. نادية عيشور: الصراع الاجتماعي بين الممارسة، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع، الجزائر، ط 1،2008.

41. نجم محمد يوسف: فن القصة، دار صادر، بيروت، ط 1، 1996.

42. نصر حامد أبو زيد: هكذا تكلم ابن عربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2002.

43. وابل نعيمة: الاغتراب عند كارل ماركس، دراسة تحليلية نقدية، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، ط1، 2013.

44. وائل النجمي: الامبريالية الناعمة والهوية المنشطرة، قراءة في رواية بروكلين هايتس لميرال الطحاوي.

45. يحيى العبد الله: الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 2005.

46. يحيي الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين الى الأوطان، مجدولاي للنشر والتوزيع، عمّان، ط1، 2008.

ج. المراجع المترجمة:

47. إيريك فروم: أزمة التحليل النفسي، تر: طلال عتريسي، المؤسسة الجامعيّة للدراسة و النشر و التوزيع، بيروت، ط 1، 1988.

48. برتراند راسل: السلطة و الفرد، تر: شاهر محمود، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط 1، 1961.

49. جون جاك روسو: العقد الاجتماعي، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، مصر، 2012.

50. روجيه غارودي: الماركسيّة، تر: محمد الأمين بحري، دار الحكمة، الجزائر، 2009.

51. ريتشارد شاخت: مستقبل الاغتراب، تر: وهبة طلعة أبو العلا، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 2001.

52. غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، ط 2، 1984.

53. ميخائيل باختين: الكلمة في الرواية، تر: يوسف حلاق، وزارة الثقافة، دمشق، 1988.

54. نيقولاي برديا‌ق: العزلة والمجتمع، تر: فؤاد كامل عبد العزيز، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1960.

د.القواميس و المعاجم:

55. ابن منظور: لسان العرب، الدار المتوسطة للنشر و التوزيع، تونس، ج 1، 2005.

56. الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي إبراهيم السامرائي، مطابع الرسالة، الكويت، (د، ط)، 1980.

57. الفيروز أبادي: القاموس المحيط، تقديم: أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي، منشورات محمد علي البيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 2004.

هـ.المجلات:

58. بسام خليل فرنجية: الاغتراب في أدب حليم بركات، رواية ستة أيام، فصول، مجلة النقد الأدبي،الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،العدد 1، 1983.

59. جبار نور الدين: الاغتراب بين القيمة المعرفية و القيمة الجمالية، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، ع355، 2000.

60. جديدي زليخة: الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعيّة، جامعة الوادي، الجزائر، العدد 08، 2012.

61. حبيب الشاروني : (الاغتراب في الذات)، مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت،العدد1، 1979.

62. حسين جمعة: الاغتراب في حياة المعري وأدبه، مجلة جامعة دمشق، العدد الأول–الثاني،2011.

63. حمّاد حسن أبو شاويش: إبراهيم عبد الرّزاق عوّاد، الاغتراب في رواية "البحث عن وليد بن مسعود "لجبرا إبراهيم جبرا، مجلة الجامعة الإسلاميّة، العدد 02، 2006.

64. سهام علي السرور: الزمن في السرد سهيل إدريس، المجلة الثقافية الشهرية، عودة الندّ، العدد 87، الأردن، 2013.

65. قيس النوري: الاغتراب اصطلاحا و مفهوما و واقعا،مجلة عالم الفكر، ع1، 1979.

66. متقدم الجابري: تجليات الاغتراب في شعر صلاح عبد الصبور، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، الجزائر،العدد4، 2005.

67. مشقوق هنيّة: تجليّات الحسّ الاغترابي في رواية بحر الصمت لياسمينة صالح، ندوة المخبر، قسم الآداب و اللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع10.

68. وطفة علي: المظاهر الاغترابية في الشخصيّة العربيّة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، العدد2، 1998.

و.الرسائل الجامعيّة:

69. بايزيد فاطمة الزهراء، رواية مسك الغزال لحنان الشيخ، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2007،2008.

ز.المواقع الالكترونية:

70. ابراهيم الجندي:المفارقات الزمنية في روايات غادة السّمان،
-01/05/2016.www.startimez.com

71. سالم الحسيني: الوصف الروائي، منتدى شظايا أدبية
www.shathaaya.com 2016/04/25/

72. علي الحمادي: بحث الاغتراب، منتديات الشروق،
www.echoroukonline.com /24/ 04/2016.

73. وائل النجمي، الامبريالية الناعمة والهوية المنشطرة، قراءة في روايو بروكلين هايتس لميرال الطحاوي، www.alketab.com /14 /2016 19

فهرس الموضوعات

مقدّمة	**أ-ب**
مدخل: تحديد عتبات المصطلح	**15-5**
لغة	**7-5**
اصطلاحا	**15-8**
في الفكر الغربي	**12-8**
في الفكر العربي	**15-13**
الفصل الأول:أبعاد الاغتراب ومظاهره	**38-17**
المبحث الأوّل: ميكانيزمات الاغتراب	**30-17**
أولا: منطلقات الاغتراب	**18-17**
- **ثانيا:**أبعاد الاغتراب و مظاهره	**21-19**
ثالثا: أنواع الاغتراب	**30-22**
المبحث الثاني: مظاهر الاغتراب في الرواية	**38-30**
أولا:الاغتراب الاجتماعي	**33-30**
ثانيا:الاغتراب النفسي	**36-34**
ثالثا:الاغتراب اللغوي	**38-37**
الفصل الثاني: تجليات الاغتراب في الرواية	**58-40**
المبحث الأوّل: مظاهر الاغتراب في المتن السردي للرواية	**49-40**
أولا: الاغتراب من خلال الحوار	**45-40**
ثانيا: الاغتراب من خلال الوصف	**49-46**
المبحث الثاني: إستراتيجية الزمكنة	**58-50**
أولا: علاقة المكان بالاغتراب	**54-50**
ثانيا: علاقة الزمان بالاغتراب	**58-55**
خاتمة	**61-60**
قائمة المصادر والمراجع	**69-63**
فهرس الموضوعات	**72-71**

ملخص

تناولت هذه الدراسة موضوع الاغتراب في رواية "بروكلين هايتس" لميرال الطحاوي" تعالج فيها أهمّ ظاهرة لصيقة بالإنسان مند القدم، إلاّ أنّها ألقت بظلالها من جديد على الحياة.

وفي هذه الرواية نخصّ بالدراسة اغتراب امرأة عربية مثقفة هاجرت بجسدها جغرافية وطنها، اجتماعيا، نفسيا، لغويا ودينيا، وهذا ما ينتج عنه ابتعاد الفرد عن البيئة المحيطة به وعزوفه عن المجتمع.

هذا ما خلصنا إليه من خلال دراسة هذا البحث.

Resumè

Sans cette recherche on a étudie la question de la migration dans le roman de "Mirelle tahaoui" intitule "Brooklyn hights" dans lequel elle traite un phénomène humain très ancien mais qui c'est réapparu dans les temps modernes.
Ce roman étudie principalement, l'immigration d'une femme arabe cultivée de son pays, ce que lui infliger toute les peines sociales, psychologiques, linguistiques et religieuses. Ces conséquences sont le prix de l'éloignement de l'individu de son entourage social.

Ceci était notre conclusion d'après cette recherche.